المشرق

جبال الألب ولبنان

للاب هنري لامنس اليسوعي

١

لقد امكنتني الفرصة في بحر السنتين ١٨٩٥ و ١٨٩٦ ان اجتاز مرارًا في انحاء سويسرة فتسنّى لي في بُهرة مسيري ان اسرّح الطَّرْف في هذه المناظر البديعة واقضي العجب من رؤية مشاهد الالپ الشائقة ومعاينة بُحيراتهِ الرائقة. وكنت اصادف مئين بل الوفًا من السيّاح والمرضى يتقاطرون الى سويسرة من اقاصي العالم فضلًا عن كلّ اصقاع اوربة رجاء ان يلقوا في هذه الجبال ترويحًا لنفوسهم او دواء لادوائهم

أجل اننا لا نجهل في سوريّة كم هو متّسع نطاق الصناعة في بلاد سويسرة وربّما وردت سواحلنا محصولات تجارتها. لكنّ تجارة سويسرة الكبرى هي توارُد السيّاح الى ارجائها فانّ معظم سكّانها يرتزقون من اموال الجموع الغفيرة من الزوّار الذين يتقاطرون اليها في كلّ عام فيصيب السويسريُّون بسببهم ثروة طائلة تغنيهم عن سائر المتاجر

هذا وانني عند مشاهدة تلك الجبال الشامخة كنت افكّر في امر جبال أُخرى ألَا وهي جبال لبنان التي لقّبها كثيرٌ من الجوّالة الاوربيين «ألپ سوريّة» (١ لما وجدوا بين الجبلين من التشابُه. بيد انني بعد ان تأمّلتُ مليًّا ما في هذا القول من الصحة وجدتُ بمزيد الأسف انّ فيهِ لغلوًّا ظاهرًا لا يكاد يطابق حقيقة الواقع

---

١) هكذا نعتها الدكتور كهر في كتابهِ الموسوم Wanderfahrten im Orient ص ٦٢٨. وقال رينان في كتاب رسالة فينيقية (ص ٢٢٠) :« جبال لبنان كجبال الالپ الّا انّها ابهج منظرًا واعطر روائح من الالپ »

وان نسب اهل سورية كلامي الى التعصّب سألتهم ترى ماذا يجعل جبال الالپ في سويسرة شهيّة في اعين السيّاح حتى يهجروا اوطانهم واشغالهم ويقصدون عليها زرافات ليقضوا كلَّ سنة بعض اسابيع او شهور فوق قممها

فالجواب لامحالة انَّ بهجة مناظر جبال الالپ هي الباعث الاول لمجيء الزوَّار. والحقُّ يقال انَّ لجبال الالپ محاسن جمَّة لا يضاهيها غيرها. فانَّ التاويج الغرَّاء تتوّج رؤوسها الناطحة السحب واذا ما ارسلت عليها الشمس اشعّتها الذهبية خلبت مشاهدها العقول حسنًا وجمالًا. ومن خواص الالپ اكتناز الجليد في وديانه فتضحي تلك الوهاد كبحار جامدة يبلغ سطحها عشرين كيلومترًا طولًا. ومع ما في زيارتها من المخاطر العديدة التي كثيرًا ما ذهبت بالارواح ترى اقوامًا من السيّاح يتوقّون في مصاعد تلك الجبال ليتزهوا طرفهم في مباهج طبيعتها

وفي نطاق الجليد الواقع تحت هذه المسالح والبحيرات المتجلدة غابات كثيفة من انواع الشجر كالشربين والسنديان والعرعر تكسو تلك الرُّبى بحلل سندسيَّة. وربما انتشرت على معاطف تلك الجبال القرى والمزارع والمنازل الصيفيَّة تحدق بها الرياض الغنَّاء. وهنالك ايضًا الآثار القديمة كالقصور والنابات تنبئ عن اخبار من فات من الشعوب. اما في سفح الجبال فتنصبُّ سيول المياه المزبدة الناتجة عن ذوبان الجليد وتطفر فوق الصخور بدويّ عظيم على شكل شلّالات رائعة المنظر

ومن ابدع ما يلقاهُ المسافر في تلك الربوع البحيرات الصافية المياه المتشمشة في الشمس تعكس في مرآتها المائعة صورَ الجبال الشاهقة والاشجار الباسقة المكتنفة بها بينا تقطعها ذهابًا وايابًا اصناف الفُلك والمراكب الشراعية وصغار السفن البخاريّة. فللّه درُّ بحيرة زوريخ وبحيرة جنيفة يعلو وراءها الجبل الابيض بل سنيًّا وربما لبحيرة المقاطعات الاربع (Quatre-Cantons) التي موقعها في وسط سويسرة وهي كدرَّتها الثمينة وتيمتها الكريمة

هذه بعض خواص جبال الالپ في سويسرة وهي كافية لأنَّ تجعلها من اطيب بلاد الله وفردوسًا للناظرين. الَّا انَّ الاهلين لم يرضوا بهذه المحاسن الفريدة التي خصَّت بها الطبيعة جبالهم فأحبُّوا ان يضيفوا الى هذه المناظر الطبيعية عدَّة تحسينات صناعية من شأنها ان تستلفت ابصار السائحين

واوَّل ما يصرفون اليه همَّتهم العناية بالغابات فانَّهم لا يستكفون فقط عن قطعها بل

يفرغون كنانة الجهود في تحسينها وتنظيمها وتقديد افنانها وتوسيع نطاق اظلالها الوارفة

ومما شغل افكار السويسريين ان يجمعوا حيثما توارد السيّاح كلّ اسباب الرفاهية ورغد العيش رجاء ان يتوفّر في كلّ سنة عددهم. فشيّدوا في المواقع الحسنة المنظر فنادق للزوّار وجهّزوها ما امكنهم بكلّ اسباب التنعّم والراحة ومدّوا اسلاك السكك الحديدية فوق متن تلك الجبال لم تأخذهم في إجراء ذلك لومة لائم. ومنهم اخذ مهندسو سكّتنا الحديدية بين بيروت ودمشق الاسلاكَ المسنَّنة والادوات التجارية المناسبة لها. هذا ولا ترى وسيلة ألَّا توسَّلوا بها ولا اختراعاً جديدًا ألَّا استخدموهُ لادراك مرغوبهم حتى صارت سويسرة مثالًا يقتدي به غيرها من البلاد

وكلُّ هذه المشروعات الجليلة لا يلبث السيّاح ان يفوا بالربى نفقاتها الباهظة بما يدفعونهُ من الاموال للشركات القائمة بها. ومُجمل ما يقال أنهُ ما من بلدٍ قد جمع مثل سويسرة بين الاسباب النافعة والبهجة معًا

٢

وان عدلنا الآن بالنظر عن سويسرة وجبال الالپ كي نعتبر لبنان وما خصَّهُ الله به من المناظر وجدنا ان لهُ قسمًا صالحًا من البدائع الطبيعية التي أهّلتهُ بان يُشبَّه بالالپ. واذا تصفّحنا الصحاف الكريمة او كتابات السيّاح المحدثين وجدناهم يُطرون محاسن لبنان ويثنون على جماله الفائق. ولا حرجَ فان لهذا الجبل منظرًا جليلًا سواء عاينتَ عُرَّتهُ المستطيل في الصيف وهو ضارب الى الزرقة حينًا والى اللون المتورّد اخرى او شاهدتهُ في الربيع والشتاء لمّا تعتمّ قممهُ بالثلوج وتتوشّح اعطافهُ باللُّجَين. واذا تصاعدت الابخرة الى الجوّ تُستشفُّ من ورائها مشاهد لبنان البهيجة فتتبيّن استدارات آكامهِ وانحدارات سفوحهِ ومعاطف ودبانهِ حيث تنسلُّ الجداول فيُسمع لخريرها صوت يأخذ بمجامع القلب

وبين هذه المناظر ما يُشبه الالپ بغرابة صورتهِ وعلوّ صخوره. قال الدكتور لُرتِه: اذا اعتبرت وادي نهر ابرهيم مثلًا لم تجد انهُ دون مناظر الالپ حُسنًا فترى شمالًا صخورًا ضخمة مسنَّنة الاطراف ويمينًا طود الصنّين يطح بعرينهِ السحاب. وفي مضيق الجبل طريقًا حرجة تجتاز بين ركام الصخور المتحدّرة من علٍ في وسط غابة من الصنوبر. وهذا المشهد الجليل يزيد حسنًا على قدر توغّلك في الجبل. فاذا صرتَ بقرب الميطرة رأيتَ جَنيَّة متّسعة الافناء لا تفوقها في شيء اجملُ مواقع جبال الالپ والپيرنه تظلّلها اشجار

السنديان والصنوبر النابتة في وسط صخور تُشرف على الهاوية

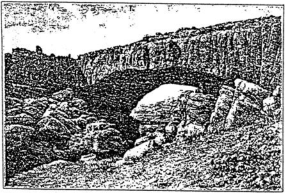


صورة افقا

وليس ما تقدَّم وصفهُ سوى مدخلٍ لهذا الموقع الفريد الذي قابلهُ السياح بوادي ڤوكلوز في فرنسة. واذا صعدت نحو ستمائة او سبعمائة متر بين صخور طباشيرية منحوتة نحتاً اسطوانياً يُشرف بعضها على بعض على شبه الدرَج بلغتَ الى مغارة موقعها في جهة الشرق لها فوهة متسعة الجوانب مربَّعة الشكل لها نحو ستين متراً طولاً في مثلها عرضاً. ومن وسطها تتفجَّر سيول المياه الصافية كالبلَّور وتصطدم بالصخور المعترضة لسيرها ثمَّ تنهمر

منحدرةً فوق رَصَف الحجارة وهي تزبد الى ان تبلغ الى جسر قديم ذي قنطرة واحدة تجتاز فوقهُ طريق السابلة وتحت الجسر المذكور ثلاث شلالات أُخر بديعة المنظر وهي متناسبة القياس حتى زعم البعض سهوًا أنها نُحتت بيد البشر. وفي بعض فصول السنة كما في حزيران يسبي منظرها القلوب لحسنها

وكلّ هذه الجهات غريبة جديرةٌ بان تكون مقصدًا للزوَّار وفيها مشاهد طبيعية نادرة. ومثال ذلك جسر طبيعيّ بقرب العاقورة يتركَّب من صخرة واحدة الّا انّهُ لا يُشبه في غرابتهِ جسرًا آخر طبيعيًا تمرُّ تحتهُ مياه نبع اللبن يبعد عن ميروبا نحو ساعة ونصف. وهو حقيقة من النوادر فانَّ مدخلهُ يبلغ خمسين مترًا وعلوهُ عشرين مترًا لهُ قنطرة محكمة الصنع يرتاب من يراها في امرها فيقضي انَّها من شغل المهندسين



صورة الجسر الطبيعي

فكلُّ هذه المحاسن الطبيعية المتجمّعة بجوار جبل صنّين وجبل موسى وجبل المُنَيطرة نقطةُ مركزها عند نبع افقا وبحيرة اليمُّونة وهي تؤمّل لبنان بان يفاخر جبالَ الالپ ويباهي جهات اميركة الشمالية التي دعاها اهلها هناك الروض الوطنيّ. امّا نحن سكّان سوريةَ فانَّ روضنا الوطني انّما هو لبنان ومناظرهُ الشائقة

ذلك ويمكننا ان نضيف الى هذه المواقع البهيجة عدّة امكنة تستلفت اليها انظار المسافرين كانحاء الكحل والارز ومقاطعة وادي قاديشا ألَّا اننا اكتفينا بما سبق فذكرناهُ على سبيل المثل

ومع ما تقدَّم وصفهُ أننا نقرُّ انَّ لبنان هو دون الالب من حيث ارتفاع قممهِ وتقاطيعهِ المتواترة فلا ترى فيه المثالج وسطوح الجليد والحروف المنتصبة كما في الجبل الابيض في سويسرة فانَّ سلسلة لبنان متساوية الخطوط وهي اشبه بسور عظيم اقامتهُ الطبيعة في وجه البحار . ألَّا انَّ هذا التناسب لا يمنع اختلاف المناظر وتواتر الوديان بحيث يمكننا ان نعدَّ لبنان جامعاً لشروط الجبال

٣

ولجبال الالب السَّبق على لبنان في امر آخر نعني البحيرات التي تجمّل سويسرة كما قلنا محطاً لجموع الزوَّار . امَّا لبنان فليس لهُ ليعارض الالب من هذا القبيل سوى بركة اليمونة على منعطف جبل المنيطرة الشرقيّ جنوبيّ قرية عيناتا . ألّا ان هذه البحيرة تنضب مياهها في الصيف ولا تتصاعد فيها المياه ألّا عند هبوط امطار الخريف . وفيها يصبُّ نهر صغير يتفجّر في مغارة بقربها . فترى بعد قليل غور البحيرة يمتلئ ماء فيضحي بحيرة طولها من ثلثة الى اربعة كيلومترات وعرضها نحو الف وثمانمئة متر . وليس لهذه البحيرة مجرى تسيل منهُ المياه سوى منفذ في وسطها يُدعى البالوع تجتاز بهِ المياه فتجري في سرب خفي تحت جبل المنيطرة فتخرج ثانيةً عند الغرب ومنها يتكوَّن نهر ابرهيم . وقد يوجد بحيرة أخرى بقرب بركة اليمونة وهي اصغر منها بكثير . فهذا غاية ما يحتوي عليهِ لبنان من البحيرات وذلك قليل جدًّا بالنسبة الى جبال الالب . غير انَّ لبنان يكشف على البحر وذلك ما يقوم مقام البحيرات السويسرية بل يفوق عليها لانَّ المسافر يجد في سعة بحر الشام وتقلُّبات احوالهِ ما لا يجدهُ في بحيرات الالب

وكأني هنا بالمنتصر للالب على لبنان يلقمني الحجر وهو يقول : مالك تطري لبنان ولا تكاد ترى فيه غابة تظلّلهُ فشتّان بين لبنان والالب وشتّان بين خمرٍ وخلّ

والحقّ يقال انهُ يستولي علينا الاسف لمَّا نرى لبنان كالرمة الصلعاء . لا سيَّما بعد ان كان مزيَّنًا بغاباتهِ . كفانا بالاسفار الكريمة شاهدًا على ذلك فكم شادت بذكر لبنان وارزهِ المشهور . وما بقي منها الى اليوم ينبئنا عن جمال لبنان القديم لمَّا كانت كلُّ قممهِ مفيَّأة باغصان الارز الغنَّاء

امّا اليوم فغاية ما نراهُ من هذه الاشجار الجميلة ‪.‬ وقعةٌ في بُقعة بقرب بشرَّاي في شرقيها وهي عبارة عن بضعة مئات من الاشجار منها عشرة قديمة العهد عاديَّة الجذور يزورها السيَّاح. وحول هذه الغابة سور يصونها الّا انَّ مدخلهُ مفتوح فتنفذهُ قطعان الغنم والمِعزى وتتلف الاغراس الحديثة فلا يمكنها ان تنمو وتتأصَّل في التربة. مع ان الامر سهل فيكفي ان يوصد المدخل ويقفل بباب فيحرسهُ بعض النواطير. وعلى هذا الناطور ان يلقَّن مبادئ الزراعة ليقوم بمهنته قياماً حسناً ويناظر المنابت الجديدة ويقوّم جذورها ويعضد فروعها. وليس في معاشه كبير امر فانَّهُ يمكنهُ ان يرتزق بما يجنيهِ من بقايا الارز فيبيع ما تكسَّر من اخشابه او سقط من فروعهِ او ما جمع من حبوبهِ. وكلُّ ذلك ذو قيمة فضلًا عن انَّ الزوَّار يتّخذون قِطَع الارز كذكر طيّب من تجوُّلهم في انحاء لبنان

هذا وانَّ لخشب الارز خواصَّ تفضّلهُ على ما سواهُ من الاخشاب فانهُ صلبٌ صقيل ذو صفرة ناصعة مع خطوط محمرَّة وهو طيّب الرائحة يصبر على الزمان دون ان يفسد. وكان الاقدمون يتطلَّبونهُ لبناياتهم ويرغبون فيهِ ايَّ رغبة (راجع كتاب الملوك الثاني ٧:٢ وكتاب اخبار الأيام الاوَّل ١٧ : ٦ ونبوَّة اشعيا ٩ : ١٠ وارميا ٢٢ : ١٤). وقد ذكر بلين الطبيعيّ (ك ١٣ ف ١١ وك ١٦ ف ٧٦) انَّ الفساد لا يطرأ على خشب الارز وأيد ذلك بمثل هيكل الالهة ديانا في افسوس وكان سقفهُ من الارز ودام هذا المعبد اربعمائة سنة وتلف بالحريق. وكان القدماء اذا ارادوا وصف شيء بالخلود ضربوا لهُ الارز مثلًا (راجع شعر هوراس Ep. ad Pisones, 392 وشعر پرس Sat. I, 41). ومن الادلَّة الواضحة على بقاء الارز ما وُجد منهُ في اخربة قصر ملوك اشور وذلك بعد الفين وسبعمائة سنة لوضعهِ فكانت اخشاب الارز على احسن حالة من البقاء فأُخذ منها قِطع وصُقِلَت ثانيةً فكانت كأنَّها جديدة. وأُلقي بعض قِطَع في النار فانبعثت منها رائحة الارز الطيّبة المُثنى عليها في كتب الاقدمين (راجع شعر ڤرجيل Enéide VII, 13)

فان كان للارز كل هذه الخصائص فما بالنا لا نُعنى بتوفير زرعهِ ليس فقط في المكان الذي بقي منهُ بقايا لكن ايضاً في كلّ انحاء لبنان حيثما تشبه التربةُ والهواء موقعَ الارز في ايامنا. فلو خرج هذا الامل الى حيّز الفعل لتغيَّرت احوال لبنان وصار حقيقةً هذا الجبل من متاحف الدنيا. ولكن لا يتحقَّق هذا الرجاء الّا بشرط ان تُعزل القطعان عن منابتهِ فانَّ الحيوانات لاسيَّما المعزى هي آفة الاشجار

٤

لقد استرسلنا في الكلام عن الارز لأنهُ يُعدّ من مفاخر لبنان الخاصة ولكن لا نستثني بذلك ما سواهُ من الشجر. بل بالاحرى نودّ لو كثرت اصناف الاشجار فوق رُباهُ. وقد اطنب مؤرّخو العرب كالمقدسيّ (ص ١٦٦ و١٨٨) وابن الفقيه (ص ١١٢ و١١٧) وياقوت الروميّ (ص٢ : ١١٠ و٤ : ٣٤) والدمشقي (ص ١٩٩) وابن بطوطة (١ : ١٨٤) في وصف لبنان وما يعلوهُ من الاشجار المتنوعة. وذلك مما يدلّ على انّ لبنان لم يفقد غاباته الى القرن الرابع عشر



صورة الجبل الواقع في طريق العاقورة والمنيطرة

قد جاء في كتابات قديمة وُجدت في بلاد جُبَيل شاهدٌ على عناية الحكومة الرومانية بالغابات في سالف الزمان فترى على بعض الحجارة هذه الأحرف اللاتينية (A G IV C P)

وهي ملخّص نصّ آخر هذا حرفهُ (Arborum genera quatuor cætera privata) معناها انَّ هنـالك اربعة اصناف من الشجر يجوز قطعها واماً الباقي فهي تحت نظارة الحكومة لا يُسمَح لاحدٍ ان يمسّها. فهذا دليل ظاهر على انَّ تلك الانحاء كانت مزدانة بالاشجار. وكانت الحكومة الوطنيَّة تحتكر اربعة اشكال من الشجر تستثمرها لنفسها وهي السرو والصنوبر والعرعر والشربين ولا يزال منها الى اليوم شيء في لبنان (١

فما لاهل لبنان لا يأتـون في زماننا بهذه الامثال الحسَنة ولا حَرَج فانَّ بوسعنا ان نكرّر ما صنعهُ اجدادنا فنكسو لبنان بحللهِ السندسية كما في سالف الاوان. ولعلَّ قائلًا ان يقول قد تغيَّرت الآن احوال الهواء والتربة في لبنان فنجيب ليس الامر كما يزعم البعض فانَّ جبالنا لا تزال قابلةً للتحسُّن. نعم اننـا نسلّم انَّ التربة كانت سابقًا اخصب واعمق وكانت مياه الامطار تستترّ فيها زمنًا اطول ولكن اذا زُرع لبنان ثانيةً لا تلبث ان تتحسَّن بذلك الارض وتغزر مياه الينابيع بشرط ان تشترط حكومة لبنان على الاهلين ما اشترطهُ الرومان من النظارة على بعض اصناف الشجر لئلاً تعبث بها يدُ الحاطبين

وقد ادرك دولة متصرّف لبنان نعوم باشا ما تحت هذا الامر من الفوائد الجمَّة وعليهِ فلم يزل منذ تقلَّد منصبهُ السامي ان ينشِّط الزراعة ونراهُ اليوم يفكّر في ردّ الغابات القديمة للبنان وقد اختار لذلك احد ادباء بيروت ذا الباع الطولى في هذه المعارف اعني الشابَّ الذكي سليم افندي اصفر الذي درس في احدى مدارس فرنسة الشهيرة فنّ الزراعة بفروعها ونال فيها قصبة السباق. وعلى ظنّنا انَّهُ سيحقق باقرب وقت آمال اللبنانيين ويبرز الى حيز الوجود صالح نيّات دولة المتصرّف

فاذا نجز هذا المشروع الجليل وتردَّى لبنان برداء خضرتهِ القديمة جاز لهُ ان يفاخر جبال الالب فان هذه هي النقطة المهمَّة التي تجعلهُ دون الالب مقـامًا امَّا باقي الصفات التي تتّسم بها جبال سويسرة فلا نتأسف على فقدها. وزد على ذلك انَّ هـذه المحاسن لا

---

١) راجع ايضًا Végèce, IV, 4. وقد ذكر المؤرّخ تاسيت (Hist. V, 6) غابات لبنان المتكاثفة. ومثلهُ القديس هيرونيموس في شرحهِ على نبوّتي هوشع وزكريًا. والقديس كيرلُّلس في تفسير اشيا. وقال فوكاس احد كتبة القرن الثاني عشر «انَّ لبنان تظلّلهُ غابات الصنوبر والارز والعرعر وغيرها من الاشجار المثمرة»

يُمكن الانتفاع بها في سويسرة الّا في بعض اسابيع السنة لانتشار الغيوم وامتداد الضباب على اكثر انحاء تلك البلاد فتضحي سويسرة حتى في ايام الصيف كسينة الوجه مكفهرّة الارجاء لا يستطيع السيّاح ان يبارحوا منازلهم ساعةً لاستنشاق الهواء والتشمّس وكثيرًا ما تخامرهم الكآبة وتخيب آمالهم في سويسرة فيقفلون عنها راجعين

وليس الامر كذلك في لبنان فانّ مناظرهُ لا يشوبها كدر قتراءه منذ اوائل اذار الى اواسط تشرين الثاني في حالة من البهجة والابهة تخيّل للناظر ان الطبيعة في موسم دائم من الفرح بهِ تنتعش القلوب وتنفتح الصدور بخلاف البلاد الشمالية التي لا ينفذ هواؤها الرئة الّا ندياً ممضّاً

وهنا فليُسمح لنا بان نختم هذه النبذة بملاحظة ذات شأن . وذلك ان اهل سويسرة قد شيّدوا في مراكز مختلفة من جبالهم لاسيّا في داڤوس منازل للمرضى ليستشفوا بها اهل العاهات ريم الجبال . فاء الاختبار محققًا لآمالهم وقد شُفي عدد غفير من المرضى بسكناهم في هذه المستشفيات لا يتعالجون بدواء سوى تنشّم الريح الطيّبة . فترى ماذا يمنعنا ان نقيم مثل هذه المقامات لمرضى بلادنا فنغنيهم عن تجشّم الاسفار الى الاقطار البعيدة لمعالجة ادوائهم بينما يجدون في جوارهم ما هم اليهِ في حاجة ماسّة . وماذا يمنع اصحاب الامر عن مباشرة مثل هذه المشروعات او تنشيط بعض الجمعيات على مباشرتها ؟ او لِمَ لا تُنظَّم لجنةٌ من العلماء لفحص مياه لبنان وتعيين خواصها الشافية ولا يخلو لبنان من مياه معدنيّة لعلّها تُشبه بمنافعها مياه ڤيشي (Wichy) وماريِنباد (Marienbad) . وكذلك يمكن ان يُرسم لكلّ بلديّة فيها مقامات للاصطياف رسمٌ يجرون بموجبهِ تحسين تلك المقامات وغرس الشجر فيها وتوفير الطرق الى آخرهِ . . .

ولكن قد حان لي ان اكفّ عن الكلام فانّي اخشى ان اكون تجاوزتُ حدود الفطنة كانّي سدّدتُ بسهام الملام الى اصحاب الامر وليس ذلك من قصدي وانّما اردتُ فقط ان لا يبقى لبناننا العزيز في درجة من الانحطاط والذلّ وهو اهل ليكون مجلّةً للابصار وقِبلةً يقصدها الناس من كلّ الاقطار

زينب (الزبَّاء) ملكة تدمر

للاب سبستيان رنزفال اليسوعي

(تابع لما سبق)

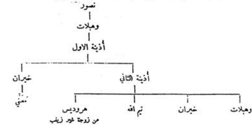
انّ ترجمة زينب كانت تستلزم تمهيدًا يعرّفنا شيئًا من احوال تدمر في زمانها ويوقفنا على اخبار سلفها لا سيَّما أُذينة زوجها. فيسوغ لنا الآن العود الى ذكر هذه الملكة واتمام سيرتها. واملّ القارئ يؤاخذنا على بسط الكلام في هذه المقدّمات مع اننا اكتفينا فيها من الكثير باليسير ومن المدّ بالنزر. فنرجو منهُ غضّ النظر عن ملل اعتراهُ لما في التفاصيل التي سبقت من واضح الفائدة لادراك اخبار زينب العجيبة

قد مرّ ان زينب كانت زوجة أُذينة الثاني فولدت لهُ ثلاثة اولاد اكبرهم وَهْبلات ثمّ خَيْران ثم تيم الله. فلمَّا قُتل أُذينة اخذت زوجتهُ بعنان الرئاسة بالنيابة عن وهبلات بكرها(١). وما لا ريب فيهِ انَّ ملكة تدمر كانت اجدر بان تسوس الدولة الرومانية من كلّ قياصرة عهدها. وهذا قول اجمع عليهِ معظم المؤرّخين حتى الذين سعوا في تنقيص شأنها وبخس حقوقها. والحقّ يقال ان الله قد منح زينب من الصفات الملكية والمزايا السلطانية ما جعلها فريدة دهرها ويتيمة عصرها

وكنَّا قدّمنا ان زينب احبَّت ان تنتسب الى سميراميس وديدون وكلاوبترة تلك

---

١) ومن كلّ ما تقدَّم من الكلام في نسب أُذينة نستخلص الجدول الآتي (V.: p. 35)



الملكات الشرقيات اللواتي اشتهرنَ بجمالهنَ الفائق ألا انها غلبتهنَ بصفة اخرى تُعدُّ من افضل صفات النساء ألا وانّها اتّصفت بالعفاف والحصانة ومارست هذه الفضيلة الحسناء ممارسة عجيبة حتى انَّ المؤرخين لم يتردّدوا في القول بانها بلغت في ذلك ما لا تبلغهُ النساء عادةً . وعلى ذلك اعتمد عرب الجاهلية فاوردوا في عفاف الزباء الاقوال التي ذكرناها في اول مقالتنا

وامَّا قولهم بانها كانت اجمل نساء عصرها فامر مقرَّر اثبتهُ كتبة اليونان والرومان . قال تربيليوس (١ : « انَّ جمال ملكة تدمر يفوق كل وصف . فترى لون وجهها ضاربًا الى السمرة وحدقة عينيها مُحلكة كحدقة النسر ويلوح على شخصها من سمات القدرة ودلائل الحزم وأمارات الأنس واللطف ما تندهش بهِ العقول وترق لهُ الابصار . وامَّا لون اسنانها فابيض يَقَقٌ كأنَّها درر . وصوتها جهور كأنهُ صوت رجل »

واذا استثنيتَ جمال المرأة وعفّة الوالدة فلا تكاد تعثر في ترجمة زينب على ما ينبئك بجنسيتها فيحقُّ فيها قول الشاعر :

ولو كان النساء كمثل هذه لفُضّلتِ النساء على الرجال

وقال زوزيموس (٢ : « ان سيرة ملكة تدمر سيرة بطلٍ لا سيرة امرأة » . ولا غرو فقد قلنا مرارًا في معرض مقالتنا ان زينب لم تزل منذ اقترنت بأُذينة تصحبهُ في ساحة الحروب ومجال الصيد كأنها احد قوّاده . فلمَّا قُتِل زوجها وتبوّأت تخت السلطنة لم تنقطع عن مثل هذه الامور بل اضافت اليها ما رأتهُ جديرًا بالملك المعظم وحريًا بالقائد الشجاع الهمام

وكانت زينب اذا ارادت السفر امتطت فرسًا فلم ترضَ بان تركب الهوادج الّا نادرًا وكثيرًا ما تراها تستكثر من المشي فتقطع مع عساكرها المسافات الشاسعة . وربَّما اجتمعت بقوّادها ورُسُل الفرس ووفود الارمن لشرب الخمر فتنادمهم . بيد انهُ لمَّا كانت الحميا تلعب برؤوس جلسائها كانت زينب تحفظ نفسها من السكر ولم يُسمع عنها قطّ انها ثملت بمعاقرة بنت الحان . وكانت كلّما استحضرت شيوخ المجلس واعيان البلاد فبحث عن امور المملكة تأخذ بيد ابنها وهبلات القيصر وهي متزيّنة بملابس الفخر والجلالة . وعلى كتفيها الشملة القيصرية الارجوانية وعلى رأسها التاج الملكي

---

١) Trig. Tyr., 14

٢) ٢١٤ : ٦



صورة زينب (عن تمثال وجد في تدمر)

والزمت كلَّ مَن مثل بين يديها ان يخرَّ ساجدًا ويحنو وجههُ طاعةً لها. جريًا على عادة اكاسرة الفرس. وكانت مثلهم قد جمعت في ايوانها بعض الشيوخ من الخصيان فوكلت اليهم تدبير الامور الداخلية. واذا جالت في ساحات عاصمتها او دارت في ذلك الرواق المدهش الذي يفوق طولهُ كيلومترًا ونصفًا (راجع الصور السابقة ص ٦٣٧, ٦٤٩, ٦٨٩) كانت تصحبها فئة من الفتيات الكريمات النسب وهي تتقدمهنَّ وتزري بجمالهنَّ كما يزري السرو بهاء الاشجار المجاورة لهُ في حدائق الملوك. الَّا ان سلطانة تدمر كانت في اغلب الاوقات تظهر نفسها لعيون جندها وتستعرضهم في ميادين حاضرتها وتمرّ امام صفوفهم الكثيفة وهي ممتطية لجوادها لابسةٌ لباس الحرب وعلى رأسها البيضة الرومانية تزينها الدرر الثمينة والجواهر النفيسة. وعلى غلالتها اليونانية اهداب منسوجة بأسحال ارجوانية وقد جرَّدت احدى ذراعيها على دأب اليونان الاقدمين. وكان كلما رآها الاهلون على تلك الحال تحرّض الجند وتشجعهم كالقائد المظيم الخبير بآداب الحرب ظنوها إحدى إلاهاتهم فعدُّوها كمينرفة او كالالاه المريخ الذائع ذكرهما في حكايات الميثولوجية القديمة (١

بيد ان زينب لم تكتفِ بتلك الأبَّهة الظاهرة والجلالة الخارجية التي من شأنها ان تؤثر في مخيلة رعاياها بل زادت على ذلك اعمالًا حسنة ومآثر جلية تدلُّ صريحًا على طول باعها في سياسة المملكة ودربتها الشائعة في ضبط شؤون الدولة. وقد اتفق على هذا الوصف مؤرّخو المغرب والمشرق معًا فقالوا بصوت واحد ان قوَّة السياسة عند سلطانة تدمر عظيمة فلم تعترضها هضبة وان الحلم في نفسها مقرًّا فلم يكن مع ذلك لمجرم مفرٌّ لانَّ صرامة الملكة كانت عند اللزوم شديدة يهتال منها الفهود ويخضع لها الاسود. واما الكرم فكان لهُ في نفسها حُرمة كبرى كما في الملوك الذين ضُربت بهم الأمثال. فلم تزل مع ذلك تقتصد الاموال الطائلة اقتصاد الرجل الحكيم البصير. وتجمع الكنوز النفيسة جمع الفطن المستدرك

هذا ولم تُشغَل ملكة تدمر بهذه المهآت السياسية عن تهذيب اولادها على الآداب السلطانية. واول ما اعتنت بهِ تعليمهم اللاتينية كما يليق بمن يترشَّح للجلوس على سرير الملك الروماني. فكانت هذه النيَّة ثابتة في قلب زينب والامل في الفوز بالمرمى مستقرًّا في

١) تريبيلوس *Trig. Tyr.*, 29

نفسها حتى انها اعدّت عجلةً بهيةً من ذهب وفضة وجواهر ثمينة وقد صممت ان تركبها اولادها ليدخلوا فوقها عاصمة الرومان. ذلك ما ورد في تآليف الاقدمين (١ وهو برهان واضح على ما اضمرت ملكة تدمر من الطمع الشديد في الاستيلاء على الممالك القيصرية قاطبة. فكأنّي بها لم تكن لترضى باتاليها الشرقية مع سعتها ورحبها (٢ اذ كانت تفوق مساحتها على بلاد الفرس (راجع ما قلنا سابقاً عن امتداد اقاليم اذينة الثاني). فلذلك طفق الاكاسرة يتقرّبون الى سلطانة تدمر وهم لم ينسوا ما اظهر لهم أذينة من البسالة واذاقهم من كؤوس الهوان والهزيمة فلم يتعرّض شابور ولا ابنهُ هرمز لمحاربة زينب بل عقدا معها الصلح والمعاهدة

واذا اعتبرت شهرة مدينة تدمر في تلك الازمنة فلا تشكّ ان حاضرة زينب اصبحت مورداً يتقاطر اليه كلّ امم ذلك العصر على اختلاف اجناسهم والسنتهم ومذاهبهم وصناعاتهم. فكانت تدمر في عهد مُلكها بمثابة برج بابل ثانٍ من حيث اختلاط اللغات والشعوب. اما سكّانها الاصليون فكان قسم كبير منهم ينتمي الى الامة الآرامية الاصلية في تلك الاقطار والقسم الآخر كان يتركّب من عدّة اجناب نخصّ منهم بالذكر العرب والنبطيين والسوريين واليونان والارمن واليهود والفرس وغيرهم من شعوب اقاصي آسية الشرقية. الّا ان عدد العرب والنبطيين كان اوفر ممّن سواهم لقرب بلادهم من عاصمة زينب ومشابهة لهجتهم وعوائدهم بلسان التدمريين وآدابهم الخاصّة. والدليل الاصدق على قدم ولوج العرب والنبطيين بينهم بعض كلمات قديمة اكتشفت في كتابات تدمر مثالها لفظة تَخْذ ورُخام وأَنجد وزَبِيد وأذينة ومجير وما شاكلها ثمّ اسماء الاعلام كخير وسَعْد وسَعِيد وكُهيل وكهيلة وجميل وجميلة ومعن وأنعم وما اشبه ذلك. وزد على ذلك صورة اسماء قبائل التدمريين كبني حنني وبني جلة وبني هَلَه وبني حمدان (٣ وغيرهم من اسرات تدمر الشريفة كبني مَيْثاء ومشبرل وقد ورد اسمهم على اقدم كتابة وجدها السيّاح في تدمر وهي كما مرّ قد نُقشت في السنة التاسعة قبل المسيح. وفي جميع تلك الاسماء دلائل واضحة على لهجة العرب ونفوذهم في حاضرة زينب

---

١) فوبيسكوس ٣٣, *Aurel.*

٢) راجع زوزيموس ١ و أروزيوس ٧ : ٢٣

٣) وهي قبيلة قديمة تكرّر ذكرها في تواريخ المشرق

واما الشعوب المجاورة لتدمر فمن المتبادر ان اخصّهم قبائل العرب التائهة في بادية الشأم والجزيرة وشمالي بلاد العرب. اولهم بنو السميدع المشهورون في تواريخ تدمر وهم الاقدمون في بلاد العراق وبراري الشأم والحوران واليهم ينتمي آل أذينة الثاني زوج زنبب الذي كان زعيم هذه القبيلة وقت احرز اخوهُ خيران وظيفة الشيخ الاعلى في وطنهِ. والمعلوم ان الرومان عند ما فتحوا بلاد الشام عثروا على هؤلاء العرب فاستألوهم ووكلوا اليهم المدافعة عن حدود الاقاليم الشرقية فدعوا امراءهم « فيلارك » اي زعماء قبائل

(ستأتي البقيّة)

الاسبان والاميركان

نظر في اخلاق الشعبين واخصّ علائقهما

للشاب الاديب جول كتسفليس احد تلامذة كليّة القديس يوسف

(وهي مقالة اقتُرحت على طلبة الفلسفة والبيان فنال صاحبها جائزة الشرف اختصرنا منها هذه النبذة لفوائدها)

لم تكن امركة الجنوبية في غرّة هذا العصر ألّا مستعمرة رحبة الارجاء تحت حكم اسبانية تتصرَّف فيها كما تشاء. وكان يحقُّ وتفتخر لابنائها ان يردّدوا قول ملكهم العظيم كرلس الخامس وهو يفتخر بهذا الارث الجليل الذي خلَّفهُ لهُ كُرتيس وبيزار: « انَّ الشمس في سيرها لا تغرب عن ممالك الاسبان ». امَّا الآن فقد دالت دُوَل الايّام وتغيَّرت احوال الزمان مذ خيَّمت الثورة على تلك المستعمرات فخلع سكّانها نيرَ العبوديَّة وآثروا الاستقلالَ على الطاعة والحريَّةَ على الانقياد ولم يجنحوا الى السلم حتى بلغوا ما يتمنون

وبينما كانت دولة اسبانية تأسف على فقد املاكها في الخارج وتتلهَّف على خوُور قواها في الداخل كنتَ ترى دولة أخرى حديثة النشأة تنو شيئاً فشيئاً حتى انَّهُ لم يمرّ عليها مئة سنة ألّا واشتدّت شوكتها واستفحل امرها فبلغ ملكها من الشمال الى الجنوب وامتدَّ من اوقيانوس الى آخر. على انَّها طمست معالم الفتن وقلّمت اظفار الحرب الاهلية وهي اليوم متسربلة من المجد بالفخر وشاح ترتقي في معارج التقدّم والنجاح وعيناها شاخصة الى نجم

السعد وكوكب الفلاح · ألا وهي الولايات المتحدة التي في ميعة شبابها عارضت قرينتها اسبانية وبينهما من التباين ما لا يخفى على ذي بصر

والحقّ يقال انّ ذكر الاسبان والاميركان يُخطر في البال حوادثَ ذات شأن طالما شغلت الافكار لا يمكن السكوت عنها لاسيما في الوقت الحاضر اذ جمعت نُوَب الزمان بين هاتين الدولتين في مقام حَرَج ومجال ضنك لا تخرج منهُ احداها الّا متهورة بعد ان دارت عليها رحى حرب عوان

وعليه فقد استصوبتُ ونحن شهودٌ لهذه المبارزة الخطرة منتظرون لعقباها المشؤومة ان اسرّح النظر في مسارح التاريخ للاطلاع على احوال الامّتين في ما سبق من الزمان وأستقصي بطون الصحائف لمعرفة ما جُبلت عليه كلتاهما من الطباع وما دارت بينهما من العلائق · وفي هذه المعارضة نظر للمفكّرين وعبرة للمعتبرين فاقول :

١

انّ الاسباني يُعرف باربع صفاتٍ طُبع عليها دون من سواهُ وهي تحمُّسُهُ لدينهِ ثم عزة نفسه وثباتهُ مع حبّ شديد لوطنه

هي الدولة الاسبانية دولة عريقة في القدم يملأها شرفُها الماضي زهوًا وافتخارًا فكأنَّها اليوم تحيا من ذكر ما احرزتهُ في سالف الاعصار من المجد الاثيل فتأبى ان تُعنى بانحطاط امرها عمَّا كانت عليه من رفعة الشأن في عهد كرلس الخامس وايَّام فردينان

لمَّا فتح كريستوف كولمب اميركة جعل الاسبان يتهافتون الى هذا العالم الجديد ليجنوا من كنوزه الواسعة القناطير المقنطرة فيعودون الى اوطانهم ومناكبهم تنوء دون عبء الاموال التي جمعوها فلا يلبثون ان يصرفوها في بذخ العيش ويبذرونها في اصناف الملاهي

بيد انّ هذا الذهب الذي اشرأبّت اليه اعناق الاسبان طامعة كان اوّل سببٍ لتقهقر بلادهم فافسد اخلاقهم وبرَّد همَّتهم وكان الضربة القاضية على تجارتهم وصناعتهم · وقد كانت تربة اسبانية خصبة كثيرة الغلّات وهي مع ذلك غنيَّة بالمعادن كالحديد والزيبق والرصاص والزرنيخ · ولكنّ الاسبانيّ لم يكترث بهذه الكنوز الوطنية ليستفيد مال البيرو بلا عناء ويكتسب ذهبَ البريزِ كغنيمة باردة · واليوم اذ أُقفلت في وجههِ ابواب العالم الجديد تراهُ فقير الحال واهي العزم لا طاقة لهُ ان يعود الى ما كان عليه سابقًا من الجدّ والنشاط في تعدين المعادن واستثمار الغلّات · ولذلك انحطّت الصناعة الاسبانية عن

مقامها الاول اي انحطاط · فاين مثلاً تلك انسجة الحرير المزركشة بالذهب والفضة ؟ اين معامل الاسلحة والمرايا وضروب الجلود التي اشتهرت بها مدن قشتالة ؟ فلم يبقَ منها سوى ذكرها اللهمَّ الّا في قليل منها

فلا غرو بعد ذلك ان نرى اسبانية غريبةً عن اكثر الاختراعات الحديثة لم يأتِ اهلها بشيء يُذكر من مكتشفات هذا العصر العجيبة · وبينما كانت تفتخر فرنسة وانكلترة والمانية وايطالية وبقية الدول المتمدّنة بمشاهير الرجال الذين غيَّروا بسموّ مداركهم هيئة المعمورة فذلّلوا قوى البخار واستخدموهُ في سبيل الصنائع وتوصّلوا الى كشف القناع عن غوامض الكهرباء ومفاعيلها العجيبة كان الاسبان في خمول وفتور لم يجاروا تلك الدول كأنَّ شمسهم آلت الى الأُفول لم يسطع منها سوى اشعَّة ضعيفة هيهات ان تضاهي الانوار اللامعة المنبعثة من غيرها

ولكن وان سلَّمنا بتضعضع قوَّة اسبانية وبرود همَّتها فلا يسعنا الَّا ان نثني على ما اتصف بهِ الاسبان من المزايا الجميلة والشمائل الحسنة فاذا اعتبرناهم وجدنا ان الدم الشريف الذي ورثوهُ عن اجدادهم لم يتغيَّر في عروقهم وان شجاعتهم لم تنقص وثباتهم لم يقلّ ولاسيَّما انَّك تراهم محافظين على دين آبائهم ناهجين طريقتهُ المثلى ومعتصمين بعروتهِ الوثقى

ولنا في ذلك البرهان الجليّ والدليل السنيّ في تاريخهم في اوائل هذا العصر اذ قام هذا الشعب وحدهُ في وجه نابوليون الاوَّل وقاوم كلّ قوَّاتهِ وردّ الأمل الى قلوب اهل اوربَّة بما اظهرهُ من البسالة في سبيل دينهِ والمدافعة عن تخوم بلادهِ · وكان الوطن اذ ذاك في مقام حرج وطئت ارضهُ اقدام الاعداء وجلُّ قصدهم ان يستولوا على مملكة اسبانية القديمة ويلبسوها ثوب العار والذلّ فانتبه الشعب لساعتهِ من سِنَتهِ وهبَّ من رقدتهِ وآلى على نفسهِ إلَّا ان يسفك حتى آخر نقطةٍ من دمهِ لوجه الله وفي سبيل الوطن · وقد شهد المعاصرون بأنَّهُ قام الاسبانيّ بوعدهِ بثباتهِ وبسالتهِ فكاد يزعزع قوَّة نابوليون وخلّف لهُ على صفحات التاريخ ذكرًا طيّبًا لا تزيل بهاءهُ الأيام

وعلاوةً على هذه الخلال الحسنة تجد في الاسبانيّ مزايا اخرى تُكسبهُ وفرة حُرْمة ومزيد اعتبار فانَّهُ قنوع مِضياف حرٌّ كريم الطباع صدوق مُخلص في معاملاتهِ وبوجه الاختصار انَّهُ متّسم باخلاق الامم المعروفة باللاتينية بيد انَّهُ فيهِ ايضًا نقائصها · كما اننا لو

صرفنا النظر واعتبرنا اخلاق الاميركان وجدنا فيهم كلّ خصال الامم المرونة بالسكسونيّة وغير بهم في درجة عُليا

هذا ومن اراد ان يعرف حقّ المعرفة طباع الاميركان يقتضي عليه ان يميّز في تاريخهم طورَين مختلفين . فالطور الاوَّل يمتدّ من سنة ١٧٧٩ الى منتصف عصرنا والثاني منذ ١٨٤٠ الى ايامنا . وكانت اميركا في الطور الاوَّل متَّصفة بروح مُنشئها وشِنكتون وما ذاك الروح سوى روح الشيعة البروتستانية المعروفة بالصُفاة (Puritains) ولاصحاب هذه الشيعة غلوٌّ في التعبُّد وتعصُّب في الدين يُفضي بهم الى الافراط في الشدَّة والصرامة . فكانت شرائع الاميركان وسننهم متشرّبة هذا الروح فكانوا لذلك يتجاوزون الحدود في معاقبة الحَلَف والشتم والتجديف فضلًا عن الجرائم الكبيرة . وكانوا يشدّدون المراقبة على الجرائد وينهون عن حضور الملاعب ويبذون كلّ اصناف الملاهي . ولم تزل آثار من هذا الروح باقيةً في بعض انحاء اميركا الشمالية

وقد تغير هذا الروح منذ سنة ١٨٤٠ وعقبهُ في الولايات المتّحدة روح آخر امتدّ بين وجوه الشعب واعيان الامَّة وأدَّى بهم الى الالحاد والزندقة . ودخلت بينهم بمساعدة الجمعيَّات السرّية مبادئ الحرّية والثورة فلم يلبث الجمهوريُّون وفي مقدَّمتهم جفرسون ان ينشروا راية الاستبداد التامّ وينادوا برئاسة الشعب في كلّ الولايات . وقد سلك موديسون ومُنروي وغيرهما مسلكَ جفرسون واتخذوا عملهُ

وللاميركان في يومنا خواصّ تفرزهم عمَّن سواهم فترى طباعهم مجبولة من صفات خاصَّة محمودة وخصال عمومية مستقبحة . لهم المشروعات الجليلة في سبيل الخير بينما يباشرون اعمالًا اخرى تنبئ بانحطاط عظيم في آدابهم . وما يمتاز به خصوصاً اهل اميركا انَّما هو حبّهم المفرط لحرّيَّة فانَّ أرغَب شيء لدى الافراد الاستبداد الشخصي واستقلال الجمهور فترى الواحد منهم يبغض كلّ ما من شأنه ان يضايقهُ في تصرُّفهِ كائناً ما كان ويبلغ به الامر الى ان يبغض السلطة الشرعيَّة وكلّ ما يمثّلها في عينهِ

ومن خواصّ الاميركي كَلَفهُ بالمال وطمعهُ في المكسب فلا يُقدم على امرٍ او مشروع ما لم ينظر اوَّلًا ما ينتج لهُ عنهُ من الفوائد المادّيَّة

امَّا حبُّ الوطن فتراهُ واهياً ضعيفاً في قلب الاميركي فيتعصَّب كلٌّ لولايتهِ الخصوصية يشتدُّ حبُّهُ لها عن الالتفات الى خير العموم وصوالح التحالف الوطني . وإنْ ذلك الّا نتيجة

اختلاط العناصر الشتّى التي منها تكوّنت اميركة . فاكثر سكان شمالي اميركة الانكليزُ ذوو الطباع الابيّة والاخلاق الجافية والارلنديُّون الكثيرو النشاط القليلو الثبات في العمل وهم ألدُّ اعداء الانكليز . وفي الجنوب وعند تخوم كندة تجد الفرنسيين مع ذكائهم المعروف وخفّة طباعهم . اما جهات الجنوب الشرقيّ فيسكنها الاسبان مع ما ذكرنا فيهم من الصفات . وزد على هذه العناصر الاربعة كثيرين من الالمان وقبائل الهنود المستأنة والمولّدين الخلاسيّين وهم معروفون بسوء آدابهم وذلّة اخلاقهم . فيحصل من اختلاط هذه الامم المتباينة احقاد وضغائن اضرمت مرارًا بين الاهلين نار الفتن وقد كادت الحرب الاهلية تفصم منذ بضعة سنين حبال الوحدة الاميركية

وكان صاحب استقلال اميركة لمّا اراد الاعتزال عن الاشغال السياسيّة جمع رصفاءهُ والقى عليهم خطاب الوداع وختم كلامهُ بهذه الوصيّة الاخيرة : « والحذر كلّ الحذر من روح التغيير والابتداع » بيد انّ الاميركيين لم يجروا على مقتضى هذا القول فانّهم اليوم يدّعون لانفسهم ويحاولون تبارة شعوب اوربّة وراءهم . وعليه فقد انكبّوا على درس العلوم الادبيّة وبرزوا في المعارف الصناعية والرياضيّات التي من شأنها الفائدة المادّيّة والمعاملات التجاريّة . ولم يحط مسعاهم فان كثيرًا من الاختراعات والاكتشافات الحديثة قد وقف عليها الاميركان او حسّنوها تحسينًا مهمًّا . وحسبنا القول ان اوّل من جهّز السُّفن بالبخار وسيّرها في عُباب البحر كان رجلًا اميركيّ الاصل اسمهُ روبرت فُلتون . ولم تلبث اميركة حتى استهلّت بالبخار فنّ البحريّة الحربية سنة ١٨١٤ . اما الآن فلا يكاد يمرّ يوم واحد دون ان تطلعنا الجرائد على بعض مبتدعات الاميركيين . والحقّ يقال انّ لهذا الشعب نشاطًا غريبًا وهمّة عليا ، وقد اضحت اليوم اميركة في حالة من الخصب والتقدّم حتى صارت تزاحم اوربّة بتجارتها وتنقل بضاعتها الى كلّ انحاء العالم وهي مع ذلك تستغني عن محصولات اوربّة لا حاجة لها فيها

ومجمل القول ان اميركة تامّة العُدّة كاملة الأُهبة لولا انهُ ينقصها رجلٌ ذكيُّ الفؤاد سامي المدارك كغرنسيا مورينو يُحسن صيانة حقوق الشعب والمدافعة عن حرّيته بينما هو يعلّمهُ ان يُخلص خدمة ربّ العالمين ويرشد خطواته في سبيل التمدّن الحقيقي . اما اسبانية فان لها حاجة ماسّة الى رجل ذي همّة واقدام يبدّد اوهامها السابقة واغترارها بالماضي فينعش فيها روح الجهاد ويلمّ شعثها لاستدراك الفساد في المستقبل

٢

قد بيّنّا في ما سبق شيئاً ممّا طُبع عليه كلا الشعبين الاسبانيّ والاميركيّ من الاخلاق والسجايا فبقي علينا ان نشير الى اخصّ العلاقات السياسية والتجارية التي دارت بينهما منذ نشأت الولايات المتحدة الى الحوادث الاخيرة

انّ البندقيّين حنّا وسبستيان كابوت (Cabot) هما اوّل من تفقّد الولايات المتحدة في اواخر القرن الخامس عشر (١٤٩٧) ثم توارد اليها الفرنسيّون والاسبان والهولنديّون فاستوطنوا بعض نواحيها . الّا انّ الانكليز اصابوا بعدئذ القدح المعلّى في تلك الاصقاع فبلغ عدد مستعمراتهم في اواخر القرن الثامن عشر ثلاث عشرة مستعمرة يقسمونها الى ثلاثة اقسام انكلترة الجديدة والفرجيني ونيويُرك . وكان بين سكّان تلك البلاد تباين واختلاف من حيث العوائد والطباع يتعاطى اهل الشمال منهم الصناعات والفنون امّا اهل الجنوب فكانوا يزدرون الفلاحة ويرتزقون بالزراعة . وكان لا يجمع بينهم رابط سوى حبّ الاستقلال وروح الاستبداد

وعليه لمّا اراد الانكليز ان يبهظوا عاتقهم بثقل المكوس وضربوا عليهم الضرائب الفادحة تناست تلك الشعوب ما بينها من الاختلاف ولبّت دعاء وشنكتون فصارت يداً واحدة على العدوّ وجاهرت بالحرب فلم تزل تخوض عبابها سنين متوالية وهي تسفك دماءها عن طيب خاطر في سبيل المدافعة عن حقوقها الى ان فازت بالمرام فاستلفتت انظار اوربّة ومدّت اليها فرنسة يد المساعدة . وحالفت دولة اسبانية الفرنسيين في ذلك وضمّت سفنها الى سفنهم املاً منها ان ترغم معاطس انكلترة وتُوهنها في اميركة وتسترجع ما استلبهُ الانكليز من جبل طارق وجزائر منورقة

وكانت نتيجة هذه الحرب العوان استقلال الاميركيين وكبح سلطة الانكليز . امّا الاسبان فنالوا في معاهدة فرسايل جزاء عن بلائهم الحسن ملكَ جزائر منورقة وبلاد الفلوريد . وكانت هذه المرّة الاولى جرت فيها بين الاسبان والاميركان العلائق الوديّة . فجادت اسبانية بنفسها لصوالح الولايات المتحدة ولم تكُ وقتئذ لتفتكر ان تلك الدولة الحديثة ستزاحمها يوماً في املاكها وتنتزع منها آخر بقعة من الارض تبقى للاسبان في العالم الجديد . . .

وما كادت الولايات المتحدة تفوز بالاستقلال حتى اخذت في التقدّم وزاد عدد سكّانها

زيادة غريبة الى ان بلغ المهاجرون اليها سنويًا سبع مائة وخمسين الف نفس . وكذلك نما على راياتها عدد النجوم المنبئة عن الولايات المنضمَّة الى تحالفها فارتفع من ثلاث عشرة ولاية الى ما فوق الاربعين . وكنت ترى بعكس الامر ظلَّ اسبانية يتقلَّص على قدر نموّ اميركة ورسوخ قدمها في سُبُل التقدم ولعلَّ الاميركيين لم يكونوا بُراء من انتقاض حبل هذه المملكة بما دسُّوا لخصومهم من الدسائس

هذا وقد اصبح قول مُنْرُوي «اميركة للاميركيين» كشعار اعلنوا به الحرب لكل الاجانب وسدَّدوه خصوصًا كسهم في قلب الاسبان ليستولوا على املاكهم الواسعة في اميركة ويتطاولوا على مستعمراتهم الزاهرة

ومما سهَّل لاميركة تحقيق امانيها ما وجدتهُ في الاسبان من سوء التصرُّف مع اهل مستعمراتها فاتخذت ذلك بلاغًا الى مبتغاها . وكان كثير من الولاة والعمَّال الاسبانيين يأتون هذه المستعمرات وهم يحسبونها طعمةً لمطامعهم لا يفكرون في صالح رعاياهم . فثارت الفتن لذلك على الاسبان وطمح بصر الاهلين الى الاستبداد بينا كانت اميركة تعضد سرًّا مساعيهم وهي تدبُّ لفريئتها الضَّرَاء وتمشي لها الخَمَر

وكان اوَّل ما انتزعتهُ اميركة من حكم الاسبان املاكها الواقعة في جوار الولايات المتحدة لاسيَّما الفلوريد التي كانت اسبانية استردَّتها كما سبق القول من الانكليز . فتربَّص الاميركان حتى اذا وجدوا مساغًا الى بغيتهم في سنة ١٨١٢ زحفوا الى اللويزيان على ضفَّة نهر الميسيسيبي الغربيَّة ثم اجتازوا الى العبر الشرقيّ فاستحكموا وزاحموا الفلوريد حتى اضطرَّ الاسبان الى بيعها وكانت اسبانية في ذلك العهد في حالة حرجة تشغلها الفتن الداخلية عن صيان املاكها الخارجية

وكان بقي لاسبانية في اميركة بلدٌ واسع ذو ثروة عظيمة نعني بقولنا بلاد المكسيك . بيد انَّ اهلها لمَّا احسُّوا بما نالت الولايات المتحدة من الاستقلال لعبت في رؤوسهم سورة الحرّية فنادوا بالحرب وخاضوا معامعها تحت قيادة زعيمهم هيدَلْغو فكانت الدولة على الاسبان . ثمَّ استُؤنفت الحرب ولم تخمد نيرانها حتى افتتح المكسيكيون مدينتي فيراكروز ومار يوحنا دي أُلوا سنة ١٨٢٤ فلم يعد للاسبان في اميركة الشمالية موطأ قدم

هذا وانَّ انتزاع الفلوريد والمكسيك من الاسبان لم يكُ ليرضي اميركة تمام الرضى

طالما لاحت لها بارقةُ طمع . ونقول بالحري انَّ فتح هذين البلدين كان كخطوة خطت بها اميركا لضبط املاك اخرى تخصُّ الاسبان وهي جزيرة كوبا

وكانت هذه الجزيرة منذ امد مديد تهيّج مطامع الاميركان وهم يفغرون افواههم ليلتهموها مع علمهم بغزارة مياهها ونضارة جنّاتها وسعة ثروتها ووفرة محصولاتها . الّا انَّ حادي الطمع ساقهم اوّلاً نحو الغرب حتى بلغوا الاوقيانس الاتلنتيكي وليس لهم في تعدّي حدوده من سبيل . ثم اشرأبّوا الى الجنوب فبلغوا تخوم المكسيك . ثم طمح طَرْفهم الى الشمال فابتاعوا من الدولة الروسية بلاد الالسكا . فلمّا ضاقت بهم اليابسة حاولوا الاستيلاء على جزيرة وجدوها في وجههم من جهة الجنوب الشرقي تدعى كوبا لثبت لكثرة خيراتها « دُرّة الانتيل »

ولا يجهل الاميركان ما لهم من الصوالح العديدة والمنافع الجمّة في جزيرة كوبا . كيف لا وكانت تجارتها تزاحم تجارتهم ايّ مزاحمة ومحصولاتها اجود شأناً وابخس ثمناً من محصولات الولايات المتحدة . فضلاً عن انهم يعلمون حق العلم انهم اذا استملكوا كوبا احتكروا البنّ واستأثروا التبغ وصارت معامل السكّر في يدهم دون سواهم

فانَّ فتح كوبا هو الداعي الصحيح الذي جعل الاميركان يبذلون النفس والنفيس للفوز بمطلوبهم ولم يسعهم كتم نيّتهم هذه . فانهم في سنة ١٨٤٥ بعد ان حلّوا سرًّا عقال الفتنة بين اهل كوبا عرضوا على اسبانية مشترى الجزيرة رضمًّا الى ولاياتهم المتحدة . فلم يُجب الاسبان الى مُلتمسهم وردّوهم خائبين . فعمدت اذ ذاك اميركا الى وسيلة اخرى فارسلت بعض القرصان برأسهم قائد اميركي ليستولوا على الجزيرة بمساعدة بعض الاهلين من اصحاب الدسائس . فلمّا لم تأتِ هذه البعثة بنتيجة حسنة انكروا انَّ لهم بها علماً ولم يرعوا مع ذلك عن سوء تصرّفهم لأن الاميركي لا يعرف القنوط فجعلوا يتقرّبون الى حاكم الجزيرة محاولين رشوته فأبوا بخُفّي حنين . ثم سكنت حركة القوم مدّة يتربّصون الفرصة لنوال غايتهم . وكانوا في اثناء ذلك يوسّعون نطاق تجارتهم في كوبا حتى اضحت اكثر الاعمال بين ايديهم . غير انَّ هذه الوسيلة لم تكفهم لسدّ مطامعهم فاضرموا اليوم نار الحرب ولا نظنّ ان سيخمد لظاها قبل ان تفقد اسبانية ابدع مستعمراتها . والله يهبُ الملكَ من يشاء . وليس لغيره دوام البقاء

ذكر كرلس الكبير ملك فرنسة في الف ليلة وليلة

نبذة للاب هنري لامنس اليسوعي

قد ورد في كتاب الف ليلة وليلة قصَّة تعرف بحكاية نور الدين عليّ مع مريم الزنّارية. ولهذه الرواية خطارة من حيث الامور التاريخية التي يشار اليها في معرضها. فقد جعل القصّاص مريم هذه ابنةً لملك افرنجة متخرّجة بسائر الآداب كالفصاحة والكتابة والحساب والفروسية والشجاعة مُحكِمة لصناعة الزِنارة ومنها تلقَّبت بمريم الزنّارية. ثم يروي عنها انها أُسرت في البحر وبيعت في الاسكندرية لتاجر يدعى نور الدين وان سيّدها تزوّج بها. الّا انَّ الملك اباها لمّا علم بخبرها ارسل فاستقدمها من مصر فتبعها زوجها نور الدين واتّفق معها ان يركن كلاهما الى الفرار. الّا انَّ اخاها برطوط (ونظنُّهُ تصحيف بِرُتُلد) ادركهما فنازعتهُ اختهُ مريم وقتلتهُ. فما علم ملك افرنجة بهذا الامر حتى ارسل وفدًا الى هارون الرشيد يطلب الى الخليفة ان يتعقَّب آثار الفتاة الهاربة.

هذه بعض ظروف اقتطفناها من هذه الحكاية الطويلة التي يمكن المطالعة عليها في كتاب الف ليلة وليلة (طبعة الاب صالحاني الجزء الرابع ص ٣٨٦) وقد اكتفينا بها سبق توطئة لما سيأتي فنقول:

انَّ هذه الحكاية مبنيّة على امر تاريخيّ قريب المنال سهل المأخذ اي بعض اخبار كرلس الكبير ملك فرنجة الذي كان معاصرًا لهرون الرشيد. ولا يجهل القرّاء انَّهُ كان يملك على فرنسة والمانية معًا. وهذا ما حمل صاحب النسخة [illegible] (ج ١٠: ص ٢٠٤ — ٢٤١) ان يذكر على لسان كرلس انَّهُ اذا أُرجعت اليهِ ابنته يعطي هارون الرشيد « نصف مدينة نمسة ». ورُوي في نُسخ أُخرى: « مدينة رومة الكبرى »

امَّا قصّة نور الدين فالراجح انَّها مأخوذة من قصة خيالية رواها البعض عن إمّا (Emma) ابنة كرلس الكبير التي خطفها إِغنهرت فترى بين القصّتين تشابهًا كبيرًا من حيث الاخلاق والاحوال. فنور الدين فَشل جبان كإِغنهرت وكلاهما في الخبرين لا يكاد يبدي حراكًا في وقت النزاع المرويّ عن مريم وعن « امّا »

وجاء في كتاب الف ليلة وليلة انَّ الملك ابا مريم كان يحبُّ ابنتهُ حبًّا شديدًا ولم

يرضَ بتزويجها. وكذا قرَّع البعض كرُلس الكبير بافراط حبّهِ لابنتهِ « أما » وقصرها في بيتِهِ. وكذلك لاشيء انسب بابنة ملك عظيم ككرلس الكبير محيي العلوم من ان تكون هي ايضاً متخرّجة بالآداب

ولسائل ان يسأل وكيف سمع القصّاص العربي بهذه الاخبار ليدخلها في جملة حكاياتِهِ. نقول ان الامر مبهمٌ ولعلّ ذلك اتّصل بالراوية العربي في عهد الصليبيين كما بلغتهُ ايضاً في ذلك العهد تفاصيل حكاية اخرى تدعى « حكاية الشيخ وزوجتهِ الفرنجية ». ولذلك ترى راوي حكاية نور الدين لا يزال مكرّرًا انّهُ مطّلع على احوال نصارى الفرنج. وفي كلامهِ إلمام بجماعة الفرسان. ويذكر « السيّدة مريم العذراء امّ النور كما يقولون ذلك بعُرفهم ». ثم يدعو اخا مريم الزنّارية باسم « برطوط » وزناهُ تعريب الاسم الجرماني « برتُلد ». وليست هذه الظروف صدفة محضة بل عن عمد وقصد

وهذه الرواية الواردة في كتاب الف ليلة وليلة مع نصّ المسعودي الذي ذكرناهُ في المشرق (ص ٤٧٩) هي جملة ما اتى عن ذكر كرلس الكبير في كتب العرب. وذلك قليل اذا اعتبرنا ما كان لهذا الملك في زمانهِ من كبير الشأن وعظيم السلطان. ونكرر هنا ما لدينا من الآمال ان تأتينا اكتشافات جديدة فتوقفنا على السفارات التي اوفدها هرون الرشيد وكرلس الكبير الى بعضها. وفي ما قدّمنا إلمام بهذه الامور الخطيرة (راجع ZDMG, XXXIV, 615)

النفس البشرية

مقالة مختصرة صنّفها الاب العارف بالله ابو الفرج غريغوريوس بن العبري

قد كنّا ذكرنا في معرض كلامنا عن اعمال ابن العبري ومصنّفاتهِ مقالةً موجزة كتبها هذا العالم النبيل في تعريف النفس وخواصّها (راجع العدد ١١ من المشرق ص ٥٠٦). وقلنا هناك ان هذه النبذة لم يرد ذكرها في جداول تآليف العلاّمة المذكور ووعدنا بنشرها لِما فيها من الفوائد المختصّة عن العقائد الدينية فضلاً عن انّها تحتوي على اصدق ما قالهُ الفلاسفة الاقدمون في النفس وخواصّها

وقد نقلنا هذه الطُّرفة عن نسخة خطيّة مصونة في خزانة كتبنا الشرقية . وقد قابلناها مع نسخة اخرى اسعدنا الحظّ على اكتشافها . فوجدنا بين النسختين بعض اختلاف سوف ننبّه عليهِ اذا اقتضى الامرُ ذلك

الاب لويس شيخو اليسوعي

فاتحة القول للمؤلف رحمهُ الله

الحمد لله الذي ابدع الوجود بعد العدم . ونفى بذلك عمّا سواهُ الأزليّة والقِدَم . وبعدُ فانّ هذا مختصرٌ في علم النفس الانسانية . لم نذكر فيهِ الّا المهمّ من دواعي المطلوب من أماراتها وخواصّها السنيّة . والغرض من ذلك الجمع بين الآراء الفلسفية والشرائع الالهية . لأنّ القوم المؤيّدين بشدّة الصبا (١ يشرقُ على صفحات قلوبهم الذكية ما يوافق البراهين العقلية . ونطلبُ في ذلك المعونة والتوفيق من المبدع الاوّل . الذي اليهِ الرُّجعى وعليهِ المعوَّل . ونسألهُ الالهام والتأييد . وتسديد ابهام الظنّ والتقليد . بمنّهِ ولطفهِ آمين

الفصل الاوّل

في بيان النفس قبل الاشتراك

نقول انّ اسم النفس يقع باشتراكٍ على معانٍ كثيرة مثل البارئ تعالى (٢ وجملة الانسان (٣ وجسد الانسان وحدهُ (٤ ودم الحيوان (٥ والقوّة الحسّاسة التي في الحيوان والقوّة المربّية للاجسام النباتية والنفس الناطقة التي تدبّر جسم الانسان وتقبل العلوم والاوامر الالهية وتميّز الحقّ عن الباطل والحسن عن القبيح ولها القدرة على استخراج الصناعات

---

١) الصبا في اللغة المَيل ولعلّ المؤلف اراد بها التعلّق بالدين او يكون في الاصل تصحيف

٢) ومنهُ يقال النفس الالهية اي الذات الالهيّة

٣) كما جاء في الكتاب (تك ١٧ : ١٤) : « تُقطع تلك النفس من شعبها » اي ذلك الانسان

٤) وفي التكوين (٩ : ٥) في الاصل العبراني : امّا دماء انفسكم فأطلبها من يد كل وحش ... ومنهُ قول اشعيا (٥٣ : ١٢) : « افاض للموت نفسهُ »

٥) يقول العرب : دَفَق فلان نفسهُ اي دمهُ

واستنباط الامور الخفية بالقياسات العقلية. ونحن غرضنا (١ في هذا المختصر الكلام في هذه النفس المذكورة فقط (٢ دون غيرها

الفصل الثاني

في اقامة البرهان على وجود نفس الانسان

نقول انّ وجود النفس الانسانية امر فطريٌّ لا يحتاج الى دليل وانّما دليلها واضحٌ عن اسم النفس فانّ الاسم دالٌّ على مسمّاه كما قال الحكيم ارسطاطاليس — وايضاً نقول انّ الانسان يعقل ويَعلم ويُدرك ويفهم ويفعل الاشياء التي تعجز باقي الحيوانات عن فعلها واذا فارقتهُ النفس عَدِم تلك الافعال بأسرها. فظهر ان تلك الافعال كانت بنفسهِ المذكورة

الفصل الثالث

في تخالف الاراء على جوهر النفس

من القدماء من زعم ان النفس نارٌ. ومنهم من قال انها هواء. وقال آخر انها ماء (٣.

---

١) وفي احدى النسختين: عزمُنا ٢) اي النفس المراد بها القوة الناطقة

٣) يحسن بنا في هذا المقام ان نعرّب نبذةً لهرمياس الفيلسوف النصرانيّ الذي عاش في القرن الثاني للمسيح وفيها يعدّد اقوال فلاسفة اليونان في حقيقة النفس وجوهرها ومصيرها و يسخر بآرائهم المتباينة المتضاربة في ذلك قبل ان يؤيد صحّة معتقد النصارى في هذه الامور

(قال هرمياس): «سل الفلاسفة عن جوهر النفس فيجيبك ديمقريت انّها نار ويزعم الرواقيون انّها هواء لطيفٌ. وغيرهم انّها عقل. امّا هرقليت فيذهب الى انّها الحركة. فيرد عليهِ غيرهُ بقولهِ انّها ريحٌ او شعاعٌ من الكواكب. يدّعي فيثاغوراس بانّها عددٌ محرِّك وهيّون بانّها نُسغة وديناركِ يدعوها مزيجاً مؤتلفاً. البعض يحلونها دماً وغيرهم ملاكاً. فيا لهُ من هذه الاراء المتناقضة او بالحري بؤساً لاضغاث احلام ليس فيها شيء من الصواب

«وهب انّ الفلاسفة لا يتّفقون على معرفة جوهر النفس أتراهم اصدق في بيان خواصّها فتسمع هذا يقول انّها خُلقت للملذّات وذاك ان غايتها الشر و يزعم الغير انّها تأبى الخير والشرّ معاً. ومنهم من يقرُّ بخلودها وغيرهم يرون انّها قابلة للموت. ويرتأي البعض انّها تعيش مدّة بعد الجسد ثمّ تفنى والبعض انّها تتقمّص في جسد الحيوانات امّا لتبقى فيها واماً لتتحوّل الى هيئات شتّى. وذهب آخرون الى انّها تبقى الوفاً من السنين. فلله درّهم من علماء يعدون النفوس بربوات من السنين وهم لا يستطيعون ان يُطيلوا حياتهم الى المئة سنة

وآخر أنها مجتمعة من امتزاج الاخلاط (١ وقومٌ آخرون قالوا أنها دُرَرٌ مجتمعة وآخرون ظنُّوا أنها من مَزْج البدن (٢ ونحن نزذل (٣ جميع هذه الظنون الفاسدة والآراء المتضادة عند اثباتنا انَّ النفس ليست بجسم ولا بجسمانية (٤ ولا تفتقر الى محلٍ تحلُّ فيهِ

الفصل الرابع

في الردّ على هؤلاء جميعهم (٥

انَّ البعض اعتقدوا انَ الانسان يشبهُ اباهُ بجسميتِهِ وافعالهِ فلذلك (٦ تكون نفسهُ جسماً . (قلنا) هذا باطل لانهُ قد تمكَّن عند العلماء انَّ المشابهة هي من باب الكيف وهو عَرَضٌ (٧ والنفس ليست بعرضٍ (٧ فالنفس ليست بجسم ولا عَرَض (٧ كما سنبينهُ فيما بعد — (واما) الاعتقاد انَّ النفس جسم إمَّا مركَّب او بسيطٌ فهو باطل لانَّ الجسم محسوس والنفس غير محسوسة — والجسم ايضاً مركَّب من الهيولي والصورة والنفس بسيطة على ما يظهر بيانهُ فيما بعد

الفصل الخامس

في بيان انَّ النفس هي جوهر

انَّ جميع العلماء حكموا بانَّ الجوهر هو القابل للأضداد . مثالهُ انَّ الجسم الواحد يقبل تارةً الحرارة وتارةً البرودة فهو جوهر يقبل الاضداد المحسوسة . وقد نرى النفس تقبل العلم

« فعلى زعم هؤلاء ماذا يكون من امري . فهذا يجعلني مخلَّدًا فيا لسعادتي وذاك فانيًا فيالحسرتي . هذا يقسّمني الى ذرَّات متناهية في الصغر فأصير تارةً ماء وتارةً هواء وحينًا نارًا وآنات سبعًا ضاريًا او سمكةً . فان اعتبرتُ ذاتي استولى عليَّ الرعب فلا اعلم بايّ اسمٍ انعتُ نفسي هل انا انسان او كلب او ذئب او ثور او حيَّةٌ او تنّين لا ادري لكثرة ما يتقوَّل هؤلاء الفلاسفة فلم يدعوا صنفًا من العجماء الَّا وكنّوني بهِ فانا من سباع الصحراء او دواجن الحيوان او اسماك البحر او جوارح الطير ادبُّ واسبح واطير واسرح في وقت واحد . واغًا الطامَّة الكبرى في قول امبدوكل الذي يزعم اني شكل من النبات . . . »

١) يريد الاخلاط الاربعة التي في الجسم وهي الدم والبلغم والمرة اي السوداء والصفراء
٢) وفي احدى النسختين : من فرغ البدن
٣) ويروى : تزيّف ٤) ويروى : متجسّمة
٥) ويروى : باسرهم ٦) ويروى : وفي ذلك
٧) ويروى : عَرَضي

والجهل والفضائل والرذائل والخطأ والصواب . وهذه وامثالها أعراضٌ اذ لا وجود لها الا بموضوعها والنفس هي الموضوع لها . فالنفسُ إذن جوهر

الفصل السادس

في اقامة البرهان على انَّ النفس ليست بجسم

نقول انَّ الجسم لهُ طول وعرضٌ وعمقٌ ولا شيء في النفس كذلك . والجسم محسوس والنفس غير محسوسة . والجسم يقبل الاعراض المحسوسة فهو محسوس . والنفس تقبل الاعراض المعقولة كعلم المنطق والهندسة وعلم الطبيعة الالهيَّة وعلم الرياضيات . وهذه كلها معقولة ومحلُّها معقول وهي النفس . فظهر انَّ النفس ليست بجسم

الفصل السابع(١

في بيان انَّ النفس بسيطة

قد سبق انَّ النفس ليست مركَّبة وليست بجسم وكلُّ ما ليس كذلك فهو بسيط فاذًا النفس بسيطة

الفصل الثامن

في حدّ النفس

قال ارسطاطاليس(٢ : انَّ النفس هي كمالٌ اوَّل لجسم طبيعيّ ذي حياةٍ وفكر وعقل بالقوَّة . وتفسير ذلك انَّ النفس جوهر حيٌّ غيرُ جسم عالمٌ نيّرٌ لطيفٌ متحرِّك بذاته خُلق من بارئهِ ليرتبط بالجسم ويكمل بهِ ويكمّلهُ (ستأتي البقية)

---

١) في احدى النسختين جاء الفصل السادس والسابع في بابٍ واحد

٢) قد حدّ ارسطاطاليس النفس في مقالتهِ عن النفس (الكتاب الثاني الفصل الاوَّل) بما نصُّهُ:

Ψυχή ἐστιν ἐντελέχεια ἡ πρώτη σώματος φυσικοῦ δυνάμει ζωὴν ἔχοντος

اي « انَّ النفس فعلٌ اوَّل لجسد طبيعيّ ذي حياةٍ بالقوَّة » فقولهُ « فعلٌ اوَّل » يريد ان النفس صورة الجسد الجوهرية . وقولهُ « لجسد طبيعيّ » يريد انَّ النفس هي التي تعطي الجسد صفاتهِ وخواصَّهُ . وقولهُ « لجسد ذي حياةٍ بالقوَّة » يريد ان الجسد المرشَّح للحياة يقبل حياتهُ من النفس

وقد جاء لارسطاطاليس تحديد آخر اوردهُ في الفصل الثاني من كتاب النفس المذكور وهو اوضح مما سبق وفيهِ يقول :

ἡ Ψυχὴ δὲ τοῦτο ᾧ ζῶμεν καὶ αἰσθανομεθα καὶ διανοούμεθα πρώτως

اي « انَّ النفس هي ما بهِ نحيا ونحسّ وندرك اوَّلًا » . وقد جمع ابن العبريّ في هذا الفصل بين التحديدين

كتاب النبات والشجر للاصمعي

سعى بنشرهِ الدكتور اوغست هَفنر

(تابع لما سبق)

[فَصْلٌ فِي أَسْمَاءِ ٱلنَّبْتِ غَيْرِ ٱلذُّكُورِ]

ومِنَ ٱلنَّبْتِ غَيْرِ ٱلذُّكُورِ ٱلْمَيْشَرُ[1]. قَالَ ذُو ٱلرُّمَّةِ:

كَأَنَّ اعْنَاقَهَا كُرَّاثُ سَائِفَةٍ   طَارَتْ لَفَائِفُهُ اوْ مَيْشَرٌ سُلُبُ[2]

(ٱلسُّلُوبُ ٱلَّتِي سَقَطَ لَبْنُهَا). وَٱلْإِسْنَامَةُ[3] ثَمَرُ ٱلْحَلِيِّ، وَٱلْعَرَاجِينُ[4] نَبْتٌ صِغَارٌ وَاحِدُهَا عُرْجُونٌ، وَمِنَ ٱلنَّبْتِ ٱلْحَبَقُ[5] وَهُوَ ٱلْفُوذَنْجُ، وَمَا كَانَ مِنْ أَحْرَارِ ٱلْبَقْلِ وَذُكُورِهِ وَعَرْفَجِهِ[6] سِوَى كُلِّ شَيْءٍ مِنَ ٱلْخَلَّةِ

١) وصفهُ في اللسان قال: المَيْشَر والمَيْشُور شجر وقيل نباتٌ رِخوٌ فيهِ طول على رأسهِ بُرْعومة كأنهُ عُنُق الرأل وقال في مادَّة (ساف): المَيْشَرة شجرة لها ساق وفي رأسها كُعْبرة شهباء. وروى وصفَها لابي حنيفة: من العُشب المَيْشَر ولهُ ورقةٌ شاكةٌ فيها شوك ضخم وهو يُستّق وزهرتهُ صفراء. وتطول لهُ قصبة من وسطهِ حتى تكون اطول من الرجل (Lc., Cynara)

٢) يصف الشاعر فراخ النعام فشبَّه اعناقها بنبت الكُرَّاث النابت في السائفة وهي الرملة الرقيقة. ولفائف الكُرَّاث ما يحيط بهِ من الهَدَب. والسُّلُب من الشجر ما لا وَرَق عليهِ وهو جمع سَليب فعيل بمعنى مفعول. ويروى: سَلِبٌ اي طويل

٣) قال ابن منظور: الإسنام ثَمرُ الحَلِيّ حكاها السيرافيّ

٤) العراجين جمع العُرجون. جاء في اللسان: هو نبتٌ ابيض وهو ايضاً ضربٌ من الكَمأة قدرُ شبرٍ او دُوَين ذلك وهو طيّب ما دام غضّاً. قال ثعلب: العرجون كالفطر ييبس وهو مستدير

٥) قال ابو حنيفة: الحَبَق نبات طيّب الريح مربَّع السوق وورقهُ نحو ورق الخلاف منهُ سُهليٌّ ومنهُ جبليٌّ وليس بمرعى (B., Zizyphis, Spina Christi ; Lc., Menthe Pouliot) وقيل انّهُ الفوذنج (Lc., Γλήχων, Marrubium, Pouliot, Calamus ; L., Mentha pulegium)

٦) قيل ان العَرْفج شجر سهليٌّ. وقيل انهُ القتاد. قال الازهريّ: العَرْفج من الجَنْبة ولهُ خوصةٌ يقال: رعينا رِقّةَ العرفج وهو ورقهُ في الشتاء (cfr. E., 268)

فَهُوَ حَمْضٌ[1] إِلَّا الشَّجَرَ الْعِظَامَ فَإِنَّهُ لَا يَدْخُلُ فِي الْخُلَّةِ وَلَا الْحَمْضِ وَلَا الْجَنْبَةِ، وَالْجَنْبَةُ[2] مَا كَانَ مِنَ الْعُشْبِ وَالشَّجَرِ وَالنَّبْتِ، وَالْخُلَّةُ[3] مِنَ الْعُشْبِ عِنْدَ الْإِبِلِ بِمَنْزِلَةِ الْخُبْزِ. وَالْحَمْضُ بِمَنْزِلَةِ اللَّحْمِ إِنَّمَا هُوَ بِمَنْزِلَةِ الْأُدْمِ مَعَ الْخُلَّةِ. (قَالَ) وَإِذَا أَكَلَتِ الْإِبِلُ الْخُلَّةَ صَلُبَ لَحْمُهَا وَاشْتَدَّ طِرْقُهَا. وَإِذَا أَكَلَتِ الْحُمُوضَ انْدَلَقَتْ بُطُونُهَا وَكَبُرَتْ أَدْبَارُهَا فَأَسْرَعَتِ الْإِنْهِشَامَ أَيِ السُّقُوطَ وَالْجَزَعَ وَلَا تَصْبِرُ صَبْرَ الْخَالِيَةِ. وَالْحَمْضُ مَا كَانَ مَالِحًا. وَالْخُلَّةُ مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مُلُوحَةٌ. فَإِذَا رَعَتِ الْإِبِلُ الْخُلَّةَ فَهِيَ مُخِلَّةٌ وَأَصْحَابُهَا مُخِلُّونَ. وَأَنْشَدَ:

جَاؤُوا مُخِلِّينَ فَلَاقَوْا حَمْضًا[4]

فَإِذَا رَعَتِ الْإِبِلُ الْحَمْضَ فَهِيَ حَامِضَةٌ وَأَصْحَابُهَا مُحْمِضُونَ. قَالَ الشَّاعِرُ:

وَكَلْبًا وَلَخْمًا لَمْ تَزَلْ مُنْذُ أَحْمَضَتْ   يُحَمِّضُنَا أَهْلُ الْجَنَابِ وَخَيْبَرَا[5]

(أَيْ لَمْ يَزَالُوا مُنْتَحِينَ)

---

١) جاء في كتاب المفردات لابن البيطار عن الاصمعيّ: الحمض كلُّ ما مَلُحَ من الشجر وكانت ورقهُ وحبُّهُ اذا غمستها تفتا

٢) قال صاحب اللسان: الجَنْبَة رَطْب الصِلِّيَانَ من النبات. وقيل هو ما فوق البَقْل ودون الشجر. وقيل هو كلُّ نبتٍ يورق في الصيف من غير مطر

٣) قال ابن سيده: الخُلَّة من النبات ما كانت فيهِ حلاوة من المرعى. وقيل المرعى كلُّهُ حَمْض وخُلَّة. فالحَمْض ما كانت فيهِ ملوحة والخُلَّة ما سوى ذلك. قال ابو عُبَيْد: ليس شيء من الشجر العظام بحمض ولا خلَّة. وقال اللحيانيّ: الخُلَّة تكون من الشجر وغيرهِ

٤) اي طلبوا الخُلَّة وهو النبت الحلو فوجدوا بدلًا منهُ النبت الحامض. وشرحهُ في اللسان بقولهِ: اي جاؤوا يشتهون الشرَّ فوجدوا مَن شفاهم مما بهم. (قال) وحَمضت الابلُ حَمْضًا وحموضًا اكلت الحَمْض فهي حامضة

٥) البيت للجعديّ. يقال: حمَّض الابلَ اي رعاها الحمضَ. وقد شرح البيت في اللسان

(وَمِنْ اَسْمَاءِ اَلْحَمْضِ) اَلرِّمْثُ(١)، وَاَلْقِضَةُ(٢)، وَاَلدَّغَلُ(٣)، وَاَلْقُلَّامُ(٤)، وَاَلْهَرْمُ(٥). وَاَنْشَدَ لِلْحَارِثِ بْنِ وَعْلَةَ(٦):

وَوَطِئْتَنَا وَطْأً عَلَى حَنَقٍ وَطْءَ اَلْمُقَيَّدِ نَابِتَ اَلْهَرْمِ(٧)

وَاَلضَّمْرَانُ(٨)، وَاَلنَّجِيلُ(٩)، وَاَلْخِذْرَافُ(١٠)، وَاَلْعُنْظُوَانُ(١١). يُقَالُ بَعِيرٌ عَنِظٌ اِذَا اَشْتَكَى بَطْنَهُ فَسَلَحَ عَنْ رَعْيِهِ، وَاَلْغَوْلَانُ(١٢)،

فقال: اي طردتنا وتنيتنا عن منازلهم الى الجناب وخيبر. وفي الاصل: «وكلنا وطأً. احمصت» وكل ذلك غلط

١) هو شجرة من الحمض. وفي المحكم لابن سيده: هو شجر يُشبهُ الغضى لا يطول ولكنَّهُ ينبسط ورقهُ وهو شبيه بالأُشنان. وعن ابي حنيفة: انَّهُ لهُ هَدَب طوال دقاق وهو شديد الملاوة ترعاهُ الابل ولهُ خشب (Lc., Caroxylum articulatum; *cfr.* E., 268)

٢) القِضَة شجرة من اشجار الحَمْض. جمعها قِضُون وقِضين

٣) الدَّغَل الشجر الكثير الملتفّ لاسيَّا شجر الحمض (L., 192)

٤) القُلَّام ضرب من الحَمْض وقيل انهُ القاقُلَّى. وروى ابو حنيفة عن شُبَيْل بن عَزْرة انهُ مثل الأُشنان الَّا انَّ القُلَّام اعظم

٥) قال صاحب اللسان: الهَرْم ضربٌ من الحَمْض فيهِ ملوحة وهو أذلُّهُ واشدُّهُ انبساطاً على الارض واستيطاحاً. وروى عن كراع ان الهَرْمة هي البقلة الحمقاء

٦) وقد روى البيت في اللسان وفي التاج لزهير الَّا انَّنا لم نجدهُ في ديوان زهير

٧) ويروى: يابس الهَرْم

٨) هو من الحَمْض. قال ابو حنيفة: الضُّمْران مثل الرِّمْث الَّا انَّهُ اصغر ولهُ خشب قليل يُحتطَبُ بهِ. وعن ابي منصور انَّ لهُ هَدَبًا كهدب الأَرْطى (Lc., Menthe; *cfr.* E., 268)

٩) النجيل ضربٌ من الحمض قيل انَّهُ هو الهرم او ورقهُ (4., Panicium Dactylon L., Digitaria Dactylon [Cynodon Dactylon]; Lc., Chiendent (Agrostis)

١٠) وفي الاصل: الخِذْراف ضربٌ من الحمض ييبس في الصيف الواحدة خذرافة. قال ابو حنيفة: لهُ وُرَيْقة صغيرة ترتفع قدر الذراع

١١) جاء في اللسان: انَّ العُنْظوان ضربٌ من الحَمْض يشبه الرمث غير انَّ الرِّمْث ابسط منهُ ورقًا وانجع في السَّمن. وقيل انَّهُ نبت اغبر ضخم ربما استظلّ الانسان في ظلِّهِ واذا اكثر منهُ البعير وَجِع بطنُهُ

١٢) قال ابو حنيفة: الغَوْلان حَمْض كالأُشنان شبيه بالعنظوان الَّا انَّهُ ادقّ منهُ وهو مرعًى

وَٱلشَّعْرَانُ(١)، وَٱلدُّعَاعُ(٢) وَهُوَ شَبِيهٌ بِٱلْهَرْمِ، وَٱلْإِخْرِيطُ(٣)، وَٱلْحُرُضُ(٤)، وَهُوَ ٱلْأُشْنَانُ، وَٱلْعَرَادُ(٥)، وَٱلطَّحْمَاءُ(٦) (ستأتي البقية)

كتاب تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ووقفتُ على نسخة مرسومٍ لم يُذكر اسم كاتبه لكنهُ للملك السعيد بركة المذكور كتبهُ الى عزّ الدين (٧. ومن مضمون هذه النسخة بعد اختصار التمجيد وبعض الفاظٍ ضربتُ عن ذكرها ما نصّهُ: « انّ الامراء الاجلاء المقدَّمين الأعزاز زين الدين وجمال الدين وسعد الدين اولاد امير الغرب أيدهم الله واحاط بهم علمهُ المبارك صدقاتُنا شملتهم بالاحسان

---

١) الشُّعْران على ما في اللسان: ضربٌ من الرمث اخضر وقيل ضربٌ من الحمض اخضر اغبر

٢) صُحِّف في الاصل بالرعاع. قال ابو حنيفة: الدُّعاع بقلةٌ يخرج فيها حبٌّ يتسطَّح على الارض تسطُّحاً لا تذهبُ صُعُداً فاذا يبست جمع الناس يابسها ثمَّ دقّوهُ ثمَّ ذرَّوهُ ثمَّ استخرجوا منهُ حبّاً اسود يملأون منهُ الغرائر

٣) جاء في لسان العرب: الاخريط نبات ينبت في الجَدَد لهُ قرون كقرون اللوبياء وورقهُ اصغر من ورق الرَّيحان وهو ضربٌ من الحَمْض. وقال ابو حنيفة: هو اصفر اللون دقيق العيدان ضخم لهُ اصول وخشب

٤) قال في اللسان: الحُرُض والحُرْض من نجيل السباخ وقيل هو من الحمض. وقيل هو الاشنان تُغسَل بهِ الايدي على اثر الطعام

٥) العراد حشيش طيّب الريح وقيل حمضٌ تأكلهُ الابل ومنابتهُ الرمل وسهول الرمل. وقيل هو من نجيل العَذاة

٦) الطَّحماء والطَّحْمة واحد: وقال ابو حنيفة: الطحمة من الحمض وهي عريضة الورق كثيرة الماء. والطحماء نبتة سُهليَّة حَمْضيَّة. (قال) والطحماء ايضاً النجيل وهو خير الحَمْض كلّهِ وليس لهُ حطب ولا خشب انما ينبتُ نباتاً تاكلهُ الابل

٧) عزّ الدين ايدمر نائب الشام السابق ذكره

اليهم صدقة مولانا الشهيد رضي الله عنهُ ورحمةٌ من ابوابنا العالية (١ وهم الآن ملازمون الباب العزيز. وكانوا يقالون من المفسدين في بلادهم ولو انَّهم اولادهم من اجل ما شملتهم من الصدقات واعترافهم بذلك (٢ . والآن أنهوا الى بين ايدينا الامر الذي جرى عند تجريد العسكر الى بلاد الغرب بعد موت قطب الدين السعدي لمَّا توجه المجلس السامي الامير سيف الدين الزيني (٣ فسُبِيَت نساء الفلاَّحين وجُعلنَ جواري واُخذت اطفالهم فصاروا مماليك. وبلغنا ان بعض الفلاَّحين استردُّوا حريمهم واولادهم بعد دفع ثمنهم ونُهبت خيولهم واغنامهم وابقارهم وقماشهم. فلمَّا بلغنا هذا الإنهاء لم يعجبنا (٣٤) ذلك ولا وافق غرضنا وأباهُ عدلُنا. وما كان القصد من هذا التجريد سوى تتبُّع المفسدين الذين اعتمدوا الفساد في البلاد وضبط من وافقهم على ذلك. وقد سأل اولئك الفلاَّحون الاميرَ الأجلَّ الاخصَّ جمال الدين حجي ان يتوجه الى خدمة المجلس العالي ليلتمس من صدقات هذه الدولة ورحمتها ان يتقدَّم المجلس العالي بطلب حريم الفلاَّحين واولادهم في ايِّ جهة كانوا وان يُعادوا الى اهلهم وكذلك مَنْ بيع منهم وقُبِض ثمنهُ فانَّنا نأمر بان يعتمد المجلس العالي طلب ذلك الشخص الذي حاول هذه الامور ويَستعيد منهُ الثمن. وان تُطلَب خيلهم واغنامهم وابقارهم وقُماشهم وتُعاد اليهم ولو كان ذلك عند امير او جندي او مقرٍ او تركمانيّ او عند ايّ كانْ كان لانا قد انكرنا كون نساء المسلمين يُسْبَيْنَ وتُسترَقّ اولادهم. وقد سألوا ان يُطَّلع على اولادهم فمن كان منهم من اهل الفساد وهو مدرك إدراك الرجال يبقى في اعتقال السلطنة خلَّد اللهُ بقاءها وتحت رحمتنا. ومن كان خلاف ذلك وهو دون البلوغ او لم يَبدُ منهُ [illegible] من صدقاتنا الانعام عليهم بحضور

١) في هذا الكلام بعض التباس. ولا نعلم من المُراد بهذا المولى الشهيد [illegible] او الحسين او الحاكم بأمر الله

٢) كذا في الاصل ولا يخفى ما في هذا الكلام من الابهام والتعقيد. ولعل المراد انَّ التهمة وقعت عليهم زورًا وهم ممن شملتهم نِعَمُنا يعترفون بافضالنا وانَّما المذنبون اولادهم. وجاء في حاشية بلحف الكتاب ما نصُّهُ: « اقوال الناس الشائعة انَّ نجم الدين محمد المذكور هو الذي قتل القُطب. وقيل ان القطب حضر الى كفرعمَّيه فوُجد عند الصباح مقتولًا وأخفى قاتلهُ نفسهُ ولم يتحقَّق الناس الامرَ فاتَّهموا به نجم الدين المذكور. وزعم البعض انهُ قُتِل بأيماز زين الدين عليّ ولكنَّ الخبر الاوَّل اشهر واكثر رواةً واوضح لانَّ زين الدين بن عليّ كان معتقلًا. وقال البعض انَّ غلام القطب حمل جثَّة سيّدهِ ورماهُ في دار السادة والله اعلم »

٣) لم نطلع على شيء من اخباره

الجميع الى الباب الشريف ويُفْسَح للامير جمال الدين حجي في العود الى الديار المصرية ولن يحضر معهُ من اهلهِ واصحابهِ. وقد اجبنا سؤالهم ذلك لأنهم ملازمون الباب الشريف وصدقاتُنا تجري عليهم وهم في إحساننا »

وتاريخ هذا المرسوم (٣ ٥ ٥) ثاني جُمادى الاولى سنة سبع وسبعين وستمائة (١٢٧٨م) وهو يدلُّ على انهم كانوا قد افرجوا عن الثلاثة اي زين الدين وجمال الدين وسعد الدين وقولهُ « صدقاتُنا شملتهم بالاحسان اليهم صدقة مولانا الشهيد » فهو دليل على انَّ السلطان بَرَكة هو الذي افرج عنهم من سجن ابيهِ. (قلتُ) فيكون الافراج عنهم فيما بين تاريخ المرسوم السابق ذكرهُ وجلوس بركة في السلطنة وهو قريبٌ من سنة وشهرين. وقد ذكرنا انَّ خبر حركة القطب بلغتهم وهم مقيمون في السجن (١

ومن الممكن انَّ الافراج عنهم كان عند سماعهم الخبر اتفاقاً قدّرهُ الله. ولفظ المرسوم يدلُّ على ذلك. وان قلنا انهم كانوا قد حضروا من مصر الى بلاد الغرب ولما جرت حركة القُطب عادوا الى مصر من سببها فاني لم اجد دليلًا على ذلك فضلًا عن انهُ لم يكن اتّفق عود الثلاثة الى مصر بجملتهم بل كان توجّه واحد او اثنان. والمرسوم المذكور يُذكَر فيهِ ان الثلاثة كانوا مقيمين في مصر. وبين حركة القُطب وتاريخ المرسوم المذكور قريب من شهرين ونصف

وبعد تاريخ هذا المرسوم خرج السلطان بَركة الى الشام وغار عسكرهُ على بلاد سيس وانقلبت الامراء عليهِ فاسرع العود الى مصر فتولّى مكانهُ اخوهُ سلامش في شهر ربيع الاوَّل سنة ثمان وسبعين وستمائة (١٢٧٨ م). ثمَّ خُلع وتسلطن الملك المنصور قلاوون في ثاني وعشرين من رجب سنة ثمان وسبعين وستمائة (١٢٧٩م) واستناب حسام الدين لاجين بالشام

وذكر ابن ابي الهيجاء في تاريخهِ قال في سنة سبع وثمانين وستمائة (١٢٨٨م) طلب

---

١) ورد في حاشية الكتاب ما نصُّهُ: « ومن الناس من قال انَّ القطب قُتل باشارة زين الدين بن عليّ المذكور فان كان هذا صحيح يكون نجم الدين محمَّد ابن جمال الدين بريئاً من قتلهِ. وقيل انَّ الثلاثة المسجونين قد حضروا الى بلاد الغرب ثم عادوا الى مصر من جهة حركة القطب واخذوا المرسوم المذكور وارسلوهُ الى دمشق على يد جمال الدين وبقي زين الدين وسعد الدين بمصر والله اعلم »

الملك المنصور امراء الجبال واخذ املاكهم واقطاعاتهم. ولم يحضر اولاد امير الغرب (35ᵛ) فاخرج املاكهم واقطاعاتهم. وقال غيرهُ: كان بنو تغلب من مشغرة قد هيَّجوا الاهوية في البقاع واثاروا الفتن فمسكهم لاجين نائب الشام وسجنهم بالقلعة وقرَّر عليهم مائة الف درهم تأديبًا. ثم لمَّا حضر الملك المنصور لفتح طرابلس اتَّصل بنو تغلب بعَلَم الدين سنجر الشجاعي شادّ الصحبة السلطانية ونقلوا لهُ عن الجبلية بصيداء وبيروت انَّ بايديهم املاكًا واقطاعات بغير استحقاق. فاخرجوها جميعًا خلا ابن المعين وكان سنجر المذكور قد ضربهُ واخذ خطَّهُ بخمسين الف درهم فاعتذر الى سنجر عن خروج اقطاعهِ بما عليهِ للخزانة فلم ينزعوا عنهُ اقطاعهُ (١. وممَّا كانوا اخرجوهُ املاك اولاد امير الغرب واقطاعاتهم. وكانت أملاكهم بمكاتيب مثبتة بالشرع الشريف فجعلوه فخلعة بطرابلس لمَّا فُتِحت وكان فتوح طرابلس في اوَّل ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وستمائة (١٢٨٩م)

فلمَّا تُوفي الملك المنصور قلاوون تسلطن ولدهُ الملك الاشرف خليل بن قلاوون (٢ في سابع ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة (١٢٩٠م) وقبض على لاجين (٣ نائب الشام وجعل مكانهُ علم الدين سنجر الشجاعي (٤. وفي ايَّام الملك الاشرف خليل بعد فتوحهِ لصيداء وبيروت استرجع اولاد امير الغرب إقطاعهم عن الحلقة الطرابلسية وجعلوها على درك بيروت. وما كان تأخَّر من اقطاعهم بلا استرجاع استرجعوهُ في أيَّام اخي الملك (36ʳ) الاشرف (٥ وهو الملك الناصر (٦ بن محمَّد بن قلاوون في اوَّل سلطنتهِ الاولى. وكانت سلطنة الملك الناصر المذكور بعد قتل اخيهِ الملك الاشرف خليل في العشر الاوسط من محرَّم سنة ثلاث وتسعين وستمائة (١٢٩٢م) وهي سلطنتهُ الاولى. وسنذكر ان شاء

---

١) جاء في حاشية للمؤلف ما نصُّهُ: «من الاصل: وفي ايَّام سنجر المذكور قد مُسك زين الدين بن عليّ وضيَّق السجاعيّ عليهِ وآذاهُ. ومن الدليل على ذلك قصَّة بخطّ بُحتر ولد زين الدين المذكور الذي كان بأمر الطبلخاناة. وهي تتضمَّن انَّ ولدهُ زين الدين قُبض عليهِ وصُودِر. وقد كتبتُ بصحَّة هذه القصَّة ولصقتها تجاه هذه الورقة ويجب ان تكون في اصل هذه الترجمة عند ذكرنا فعلة علم الدين السجاعيّ في الجبليَّة بصيداء وبيروت. وهذه القصَّة المذكورة وجدتُها بعد كتابة هذه الاوراق ولو وجدتها قبل ذلك لكتبتها في الاصل» كذا ورد في الاصل ولم نجد هذه الورقة المشار اليها لعلَّها سقطت من الاصل

٢) راجع ص ٢٢٦ و ٢٢٧ ٣) راجع ص ٢٣٠ ٤) راجع ص ٢٢٧

٥) قلتُ ولمَّا استرجعوا الاملاك والاقطاعات بقي الجميع في ديوان الجيش فنزل وتحرروا عليهِ غيرهُ من الجند (كذا) وصار الملك اقطاعًا ٦) راجع ص ٢٧٦

الله تتمة الكلام في الاقطاعات عند ذكرنا للدول وما كان في ايام ناصر الدين الحسين ابن خضر من الحوادث . وقد رأيت بخط بعض السلف أنه عقيب فتوح بيروت في ولاية شهاب الدين بن برق (١ حضر الى بيروت ست شواني وواقعوا المسلمين وقعة لم يعهدوا مثلها . وذكروا انّ صاحب بيروت كان في الشواني المذكورة (ستأتي البقية)

رِوَايَةُ الشَّقِيقَتَيْنِ

يشيّ من وقت الى آخر اشعّة من شمس الرجاء في قلب تلك الاسرة التي جار عليها الزمان وانختها المصائب مقعدًا ومركبًا بل كانوا يحسبونها لهم روحًا محييًا بل كانوا اذا ما رأوها في البيت تخطر ذهابًا وايابًا حسبوها من جملة الملائكة الحكيّ عنها في اساطير الاقدمين انها تأتي لتهز مهد الطفل النائم وتحرسهُ

وكان اهل البيت طلبوا مرارًا بالحاحٍ الى تلك الراهبة الفاضلة ان تخفّف العناء والتعب عن نفسها لئلاً تقصر ايامها قبل الاوان. اماّ هي فكانت تجاوبهم قائلة والابتسام يبدو على ثغرها بلطفٍ عجيب: ان الحياة ليست بالامر المهمّ لدينا فان الواجب المفروض علينا نحن انما هو ان نُخلص الخدمة بنزاهة ونشاط بل ان نموت في سبيل خدمة القريب ان لزم الامر. ولهذا فاني ان متُّ انا فان واحدة من رفيقاتي الراهبات تقوم مقامي في الخدمة. اماّ هو (وقد اشارت بقولها الى البارون) فمن الواجب ان يحيا بل وقد تحدّثني نفسي انهُ سيحيا بل سيشفى تمامًا

وكانت قائمة على ذلك المريض في مرضهِ تخدمهُ باخلاص ونزاهة وترقب حركاتهِ وسكناتهِ اثناء الليل واطراف النهار وباثناء ذلك لحظت ان ذلك العليل الفاقد الصواب كان يتخلّل هذيانهُ فترات يبدو فيها على احسن حال التعقّل والرشد وذلك ما كان دلهًا على انهُ سائر في طريق الشفاء

وكانت في بعض الليالي عندما يستولي عليها العناء من كثرة السهر تنطبق جفونها من شدّة النعاس ومن الحمّى التي كانت اخذت في تضنيها وتتآكل لحمانها رويدًا رويدًا على أنها ما كانت تلبث ان تستيقظ مذعورةً لظنّها انها اهملت الواجب المفروض عليها. واذ لم تكن تسمع اذ ذاك تنفّس البارون كانت ترتعد فرائصها ولكنها عندما تنظر انهُ يتنفّس كان يسكن جأشها ويعود اليها الاطمئنان. وكثيرًا ما كان يحدث ان البارون بعد عود التنفس اليه كان ينام هادئًا بضعة دقائق يعقبها نوب جديدة هائلة

وكان البارون يكثر من الهذيان نهارًا على ان هذيانهُ كان يخفّ ليلاً عند وجود الراهبة اغنس لديهِ. وكان في بعض الاحيان يبسط ذراعيهِ الى الامام كمن يرى شبحًا محبوبًا لا ينظرهُ سواهُ واذ ذاك كانت شفتاهُ الرقيقتان تتلفّظان مناديةً «يا وردة؟»

وقد دامت هذه الحال اسابيع كثيرةً بدون ان تتقبل الراهبة اغنس التماس شيء من الراحة حتى كادت سبحتها تتلف لكثرة ما مرّت حباتها بين اصابعها النحيفة. — ولما رآها

يوماً الدكتور ڤون . . . على هذه الحالة (وهو طبيب شيخ من اساتذة مكتب ڤينة الطبي) قال لها وقد هزّ اصبعهُ توعّدًا : « احذري لنفسك ايتها الاخت والّا شكوتُ الامر لحضرة رئيستك لانكِ بخدمتكِ وعنائكِ تسيرين على حافة الهاوية فتقعين وتموتين »

امّا هي فاجابتهُ وكانت لهجتها تُشير الى التوسُّل والاستعطاف والاسترحام : اسألكَ يا سيدي ان لا تفعل هذا اصبر عليَّ بضعة ايّام لان لي تمام الثقة انّ البارون سيشفى . . . اجلْ من الواجب ان يشفى

وكانت هذه الكلمات التي لفظتها الراهبة بتأكيدٍ ووثوق لم يكونا معهودين بها قد حرّكت المسيو ب . تحريكاً عظيماً . . . على انهُ لم تمضِ بضعة ايام حتى مرضت الراهبة المسكينة مرضاً عضالًا كما سبق فرقدت على السرير تتقلَّب على قتاد الاوجاع وكان ذاك مرضها الاخير اذ انها رقدت ولم تقم . — وعندما اخبرتها الرئيسة المرّة الاولى بالخطر المحدق بها وباهمية مرضها استمت الراهبة انيسة هذا الخبر بفرحٍ وتهلّلٍ وعانقت الرئيسة هاتفةً : اشكر لك يا ربّاه اني اضرعُ اليك ان تستدعيني من هذه الحياة لانّ بموتي خلاص البارون

١٥

وبأثناء ذلك ازداد مرض شرل كأنّ تلك العلّة قصدت ان تكذّب رأي تلك الفتاة القديسة تكذيباً موقّتًا فتكاثرت النُّوَب عليهِ واصبحت تعاقبها المرّة اثر المرّة سريعاً وخُشي عليهِ من الموت العاجل اذ انهُ غاب عن الرشد تاماً حتى انهُ لم يكن ليعرف احدًا واصبح حضور سوسنة لديهِ من ابغض ما يكون عليهِ . ولهذا فان تلك الفتاة المسكينة اي سوسنة كانت تقضي نهارها باكيةً منتحبةً ناسبةً الى نفسها موت شقيقتها والبارون معاً

وباثناء ذلك اخبروا المدام ب . بوفاة الراهبة اغنس وسلّموها بالرتّ ذاتهِ دستجة تتضمّن تذكارًا من الفقيدة فاقتبلتها تلك الوالدة المسكينة كذخيرة مقدّسة . ولكن ما فتحتها حتى صرخت صرخة عظيمة ووقعت مغشيًّا عليها بين ذراعي سوسنةً

امّا الدستجة فكان في ضمنها جملة صوَر فوتغرافية وصليب صغير من ذهب وسواران رسم عليهما حرفان مشتبكان وهما « ر » و « ل » (وردة دي لينس) وهما السواران اللذان اهداهما البارون الى خطيبتهِ واللذان لبستهما وردة في سهرة الخطبة وكان مع الدستجة مكتوب هذه بصورتهُ :

اي والدتي الحبيبة

« عندما سترأين هذه السطور تكون ابنتك ماتت . — كنت اودّ ان اعانقك واعانق والدي وسوسنة ولكني اردتُ ان ابعد عنكم جميعاً مقابلة الحزن هذه بل اردتُ ايضاً ان أُضيف هذه التضحية الى تضحية حياتي . اني قدّمتُ لله هاتين التضحيتين من اجل شفاء شرل واني على ثقة بان الله قبل ضحيتي فما احلى هذه الثقة لديَّ . . . انني اموت راضية فرحة مسرورة . . . لأن الواجب المفروض عليَّ في هذه الدنيا قد كمل وتمّ واني لانتظركم في السماء حيث يكون اجتماعنا دائماً ابدياً

« يجب على سوسنة ان تقترن بشرل ذلك اشتهاء شقيقتها المائتة بل ذلك امرها الواجب اتباعهُ . . . .

« كفكفوا دموعكم يا اقاربي الاحياء . . . انني واثقة بان الدموع التي تذرفونها الآن انما هي آخر بكاء تبكونهُ . . . لم يكن ليخطر لي مطلقاً ان في التضحية وفي الموت حلاوة مثل التي اشعر بها . . . .

« اغفروا لي وسامحوا ما سببتهُ لكم من العناء . . . ولمَّا كانت الحال تقضي بان اموت انا او ان تموت شقيقتي افتكرتُ انهُ لم يبقَ مجال للتردد فجعلتُ نفسي فدًى عن تلك التي أُحبها اكثر من حياتي . . . انكم بموتي تفقدون ابنةً ولكن الابنة الباقية لكم هي خير مني . . . الوداع يا والدي الوداع يا والدتي ويا شقيقتي الحبيبة . . . بل اودعكم على امل اللقاء .
وردة ب . . . »

امَّا البارون فانهُ عندما نظر حليّ خطيبته الكريمة ظهر عليهِ كانهُ خرج من سُبات عميق وتنفَّس الصعداء متعافياً وآب اليهِ رشدهُ ثمَّ اخذ تلك الآثار العزيزة لديهِ وقبَّلها بتأثر وهيام وكانت الدموع تنهمل من عينيهِ كالغيث المدرار . . . اجل ان التقدمة التي قدَّمتها وردة قد قُبلت لدى الله وبناء على ذلك قد نال خطيبها الشفاء من الداء .

١٦

اليوم الذي نروي حوادثهُ الآن انَّما هو يوم احد الشعانين . اكرم بهِ يوماً صفا هناؤُهُ وتوفَّرت بهجتهُ وكان اهالي ثينة قد ارتدوا ملابس العيد وذهبوا الى الكنائس والمعابد يقضون فروضهم الدينية وكنتَ تراهم بعد انقضاء صلواتهم يخرجون من الكنائس زرافات يحمل كلٌّ منهم في يدهِ غصناً من البقس وكان يعبق بالهواء عرفُ البخور الطيب وكانت اجراس

الكنائس تصدح كالبلبل الصيَّاح وتشدو كالمزار في جميع ارجاء تلك العاصمة الفيحاء. وكان الهواء نقيًّا والجوّ صافيًا والسماء رائقة بحلّة زرقاء بهيّة ترتاح اليها الابصار. وكانت شمس نيسان البهية قد بدَت منذ زمان مديد الضبــاب اللطيف المتصعّد من وادي الدانوب. وكانت الاشجار المنتصبة صفوفًا منظَّمة في رياض ثمينة ومُنتزَهاتها قد ظهرت عليها البراعم زاهرةً والاوراق مخضرّةً وكانت الطيور تأتي على اغصانها مغرّدةً صادحةً بنغماتها الطيّبة المطربة كأنها بذلك تحيّي الربيع المقبل وتستقبل الطبيعة المنتعشة

في تلك الضحى وعلى تلك الحال التي وصفنا كانت جثــة الراهبة اغنس راقدة في ردهة من دير «راهبات المرضى» في ظلّ صليب يرتكز لدى رأسها... وكانت تلك الفتاة القديسة كأنها نائمة تهدأ النوم الاخير. وكأنّ الموت ذاته قد وقّر واستهاب فريستهُ الكريمة اذ توقّف عن اتلاف تلك الجثة الطاهرة فلم يعترها فساد. بل كانت وهي جثة مبتسمة ذلك الابتسام العطوف اللطيف الذي كان اثناء حياتها يبدو دائمًا على شفتيها

وكانت الردهة التي فيها جسد الفقيدة مظلمة بعض الشيء لما على نوافذهــا من السجوف المسدولة وكان حول الجنازة صفٌ من الشموع تحــدث انوارها مشهدًا مهيبًا يشيءُ في النفس حاساتٍ لا يستطاع التعبير عنها. وكانت الراهبــات رفيقات الفقيدة منتقبات بنُقبهنَّ البيضــاء يتناوبن الركوع حول مرقدها ويسكبن من عيونهنَّ الدموع ومن افواههنَّ الصلوات

وقد اقبل ايضًا على الردهة التي كان فيها جسدُ الفقيدة عددٌ كبيرٌ من الغرباء تباعًا مدفوعين الى الامر بتلك الجاذبية غير المدروكة التي بها تجتذبُ القداسةُ النفوسَ وتستهوي الالباب

ثم انفتح باب الغرفة ودخل منهُ اربعة اشخــاص بملابس السواد ووشاحات الحداد الكامل وهم رجلٌ وامرأة عليها سيماء الوقار ثم صبيٌّ يستند الى ساعدها. شابٌّ عليه آثار المرض وكثَتْ اذا امعنت النظر الى ما كان عليــه ذاك الشاب من الهزال واصفرار اللون صعب عليك ان تعرف انهُ البارون دي لينس خطيب وردة الذي كان ممتلئًا صحةً وقوةً ونشاطًا والذي كانت عناصرُ الحياة والبهجة تبدو على حركاته وسكناته. فتقدم الاربعة الى مرقد الفقيدة وركعوا حولهُ واستمرّوا مدةً راكعين خاشعين متأملين يصلّون ويبكون سرًّا... اجل أنهم كانوا يجدون لدموعهم دفعًا من مرارتها مجرًى عذبًا وشهيًا لنبيهم فانهم

بيكانهم على الابنة المحبوبة والشقيقة العزيزة والخطيبة المأسوف عليها كانوا يعتقدون انها في السماء بين مصافّ القديسات وملتمسين صلواتها وهي القديسة شهيدة الاخلاص . — امَّا الراهبات فانهنَّ خرجنَ من الغرفة اجلالاً لزائرين المتقدّم ذكرهم وتلطفاً بهم في حال حزنهم

وكان البارون لا يستطيع ان يحوّل نظرهُ عن جثة الفقيدة التي كان يظهر وجهُها متغيّر الهيئة كأنَّهُ قد اشرقت عليهِ شعاعٌ من المجد السماوي الذي اصبحت نفسها تتمتع بهِ منذ الآن فصاعداً . ثم هتف شرل دي لينس : « ايتها الخطيبة الكريمة القديسة انني لم أكن اهلاً للاقتران بكِ مع اني قضيتُ ثلاثين سنةً بالكدّ والعمل لكي استحقّ امتلاك مثل هذا الكنز الثمين . ان الله قد سمح ان أخذ فضائلكِ برهة . . . فليكن اسمهُ مباركاً . . . على انني انحني خاضعاً لاوامرهِ واحكامهِ التي لا يدرك اسرارها بشر »

وربَّما كان البارون استطرق الى المزيد في تبيان حزنهِ واظهار تلهُّفهِ بيد ان المسيو ب . نهض بمظهر المهابة وبساطة ابويَّة قبض على يد سوسنَّة وجعلها في يد شرل قائلاً : « ليحبّ كلٌّ منكما الآخر يا ولديَّ وابقيا متحدين زمناً مديداً تلك امنيَّة فقيدتنا العزيزة وهي من اعالي السماء تباركَكُما كما اني اباركُكُما انا ايضاً »

وبينما كان المسيو ب . يتفوَّه بهذه الكلمات خنقتهُ التأثُّرات فانقطع عن الكلام ثم نهض جميعهم ونثروا يد وردة وعانقوا ذلك المصلوب الذي كان فوق رأسها ومنهُ التمست الفقيدة المحبوبة الشجاعة بالنظر اليهِ أثناء النزاع الذي انتهى بتضحية حياتها

ثمَّ ان هذه الاسرة التي اشتدَّت عليها التجارب والامتحانات نظر كلٌّ من اعضائها الآخر بحبة وبظاهر الشعور بالسعادة ثم تعانقوا على التعاقب وكانت هذه المرَّة الاولى التي شعروا بها بالانبساط منذ سنتين . وكانت الدموع التي سكبوها عندئذٍ آخر دموع ذرفتها عيونهم في حياتهم حسبما تنبأت وردة قبلاً

***

هذا ولم تطل المدة حتى برح القنصل العام وذووهُ مدينة ڤينة عائدين الى سورية . ولم يأتِ اوَّل الصيف حتى اقترن شرل دي لينس بسوسنَّة

وما زالت هذه الاسرة السعيدة عائشة الآن بالرغد والصفاء في منزلها القديم

تقضي عيش السلام والطمأنينة وتحتفظ على صفحات الصدور ذكر الراهبة اغنس مع حاسات الشكر وعواطف المحبة والتكريم

اما غرفة التذكارات فما برحت في الدار على حالها قد جُعل شرل ناظرًا عليها يدبّر شؤونها. وقد اضافوا الى ما كان شرل قد جمعهُ فيهـا جميع الآثار التي كانت سببًا لتعزية وردة في حال ترعها واحتضارها. وكانت الاسرة كلّ سنة تأتي « يوم احد الشعانين » تلك الغرفة المعتبرة عندهم كمتحف بل كمقدس للتقاوة والتُّقى وكانوا اذ ذاك يركعون امام المصلوب ويتذكّرون جميع الحوادث الماضية بالنظر الى الآثار الموجودة لديهم. وكانوا ينظرون خصوصًا الى ذلك المصلوب الذي اودعتهُ وردة قُبلتها الاخيرة وكانوا يلتمسون دائمًا حماية مَن كانت بحياتها كما انها بقيت بعد مماتها ملاكًا قائمًا على حراسة تلك الاسرة الفاضلة

وبعد مضي سنة على الحوادث التي مرَّ بك ذكرها كنت ترى سوسنةً تضمُّ الى صدرها وبين ذراعيها بحنو وانعطاف بنتًا رزقها الله اياها وكان اهلها عندما نصّروها سموها « اغنس دي لينس » ليعيش بينهم اسم خالتها عنوان الشجاعة والشهامة ولئن كان ذكرها منطبعًا على صفحات الصدور لا يمحوهُ الدهر ولو مرَّ . ولا الزمان ولو كرَّ (انتهت)

شذرات

فوائد زراعيّة

عناقيد عنب ملوّنة

انْ احبَّ الكرّام ان يحصل على كرمة ذات عناقيد ملوّنة فليعمد الى قضيبين من قضبان الكرم يأتي احدها بعنب ابيض والآخر باسود وليسحق رأسها ويعصبها عصبًا لطيفًا ويغرسها في الارض. فاذا نبتا اتت الكرمة بصنفين من العنب ابيض واسود. وربما كان في العنقود الواحد حبوب ملوّنة سود فبيض. وهذا من غرائب الامور الظاهرة بالاختبار

٢ الزراعة في الصخور

انهُ لامر سهل ان تُزرع اشجار التفّاح والجوز بين الصخور. وهاك الطريقة لحصول على ذلك. يجب اوّلًا ان يُعيّن محل كلّ شجرة فتُحفر في الصخرة حفرة عمقها نحو متر فتُحشى بالبارود في اوّل الشتاء. وتُفجر كما يُعمل بالألغام. ثمَّ تُنحّى قطع الحجارة الكبيرة. اما

القطع الصغيرة وما وُجد من التربة الحسنة فتُجمع في طرف الحُفَر وتبقى الامور على حالها طول الشتاء. فاذا هطلت الامطار وحصل الجليد تدقّقت تلك الاحجار الكلسيَّة وتنعَّمت وصفّاها الجوّ ممّا فيها من المواد الضارَّة

واذا قدم فصل الشتاء في السنة التالية تزرع الاشجار في الحُفَر المذكورة ويشترط ان تُحاط جذورها بتربة حسنة ثمَّ تُطَمّ في وسط تلك القطع المرضَّضة واخيرًا تحاط بحجارة ضخمة. فلا تلبث جذور التفّاح والجوز ان تمتدَّ في وسط هذه الصخور وتجتذب ما تحتاج اليه من الغذاء والمائية. ويُقتضى ان تُغرس هذه الاشجار صفوفًا كرقعة الشطرنج وتُجعل ساقية لكلّ شجرة لسقيها مياه الامطار

وهذه الطريقة يجري عليها كثيرون من ارباب الزراعة في جنوبيّ فرنسة وفي مقاطعات كثيرة فينالون بها ارباحًا واسعة. ونظنُّ انَّ اهل لبنان اذا جرّبوها أتتهم بنتائج حسنة في جبالهم حيث الصخور متوفرة. وكلّ ما تقتضي كلّ شجرة من النفقات لا يتجاوز مبلغ فرنكين

امرأة تحيا بلا معدة

قد اجرى بعض الدكاترة في باريس اختبارًا عجيبًا كان داعيًا الى ابحاث خطيرة. وهو انَّهم شقّوا بطن سنّور وقطعوا معدتهُ واخرجوهُ ثمَّ خاطوا بلعومهُ بامعائهِ فالتأمت الاجزاء بعضها وتركوهُ على حالهِ. فعاش الحيوان مدّة شهرين او ثلاثة وهو يأكل ويشرب على عادته. ثمَّ مات

في اواخر السنة الماضية أُحضرت امرأة عمرها ٥٦ سنة في مستشفى زوريخ من اعمال سويسرة وهي مصابة بداء السرطان في المعدة. فلمَّا لم يبقَ للمسكينة من امل رضيت بان تُقتلع معدتها. فباشر الدكتور سلاتر بهذه العمليَّة الدقيقة الخطرة. وقطع المعدة وخاط البلعوم بطرف المصير كما فعلوا بالسنور المذكور. فنجحت العملية اتمَّ النجاح. ثم بعد يومين او ثلاثة قُدِّم للمرأة قليلٌ من الحليب فشربتهُ ثم حساء فشربتهُ ايضًا ثم بعد شهر أكلت لحمًا مُهرَّمًا. وقد اتت على يوم الاختبار شهور والمرأة لا تزال تعيش وتأكل وتشرب

اكتشاف معادن جديدة في الهواء

اوَّل من حلَّل اجزاء الهواء العلاَّمة الفرنسيّ لافوازيار في آخر القرن السابق. فوجد فيهِ نحو ٢١ قسمًا من الاكسجين و ٧٩ قسمًا من الازوت وقليلًا من الحامض الكربونيك

ألا ان العلماء في هذه السنين الاخيرة قد وقفوا على عناصر جديدة في الهواء لم يعرفوها سابقاً . في سنة ١٨٩٤ وجد اللورد رَيلي (Rayleigh) عنصراً آخر سماهُ دعاهُ الارغون (Argon) وتمكن من افرازهِ عن الازوت والاكسجين . فلم يمرّ على هذا الاكتشاف اربع سنوات حتى وقف كيمويّان آخران اسمهما رَمسي (Ramsay) وترافرز (Travers) على جسم آخر استخرجاهُ من الهواء ودعواهُ كريتون (Krypton) اي الجسم الخفيّ وقد حصلا على ذلك بتقطير الهواء السيّال (راجع المشرق ص ٦٠٠) . فبعد غليان المائع تطاير أولًا الازوت ثم الاكسجين فبقي الارغون سائلًا . وكان في قعر الزجاجة راسب مختلف عن الارغون فحصاهُ بالطيف الشمسي فوجدا لهُ خواص جديدة منها نور شبيه بنور الشَّفق الشمالي . فكان ذلك علّة لوجود الكريتون

ثمَّ تابع العالمان المذكوران اختباراتهما بتقطير الارغون فافردا عنهُ الكريتون المذكور فوجدا جسمين آخرين احدهما بخاري غازي الطبع سمّياهُ نيون (Néon) اي جديداً . والثاني جامد لهُ بعض خواص الارغون لهُ نور في غاية البهاء اذا عُرض على الطيف الشمسي فلقّباهُ بالميتارغون (Métargon) لما بينهُ وبين الارغون من الشَّبه

وهذه الاكتشافات تؤيد ما يرويه اليوم العلماء في اصل تركيب الارض والجوّ المحيط بها . فكانت كلّ اصناف الغازات والبخارات منتشرة في الهواء حتى اذا جمدت قشرة الارض صَلِب قسمٌ من هذه المواد وحصلت اختلاطات كيمويّة صفّت الهواء من الاجسام التي لا تصلح للاستنشاق

صالح بن يحيى صاحب تاريخ بيروت

افادنا المعلّم الفاضل الدكتور مرتين هرتمان انهُ اتّصل الى معرفة نسب صالح بن يحيى صاحب تاريخ بيروت الذي سعينا بنشر تأليفه تباعاً في المشرق . فوجد في بعض المقاطيع التاريخية التي استنسخها انَّ اسمهُ زين الدين صالح بن شرف الدين يحيى بن سيف الدين ابي البكر التنوخي وكان عمرهُ في سنة ٩٢٦ هـ (١٤٢٠ م) خمس سنوات . ووعد بنشر نبذة تاريخية عن هذه القضية

(نقول) اننا نشكر للدكتور هرتمان عن هذه الافادة بيد أننا لا نظنّ انَّ زين الدين صالح المذكور آنفاً هو صاحب تاريخنا والبرهان على ذلك اوَّلًا انَّ اسمهُ في مقدّمة كتابهِ (راجع المشرق ص ٣٥) لا يوافق الاسم الذي ذكرهُ الدكتور هرتمان وقد دعا نفسهُ

في فاتحة تاريخهِ «صالح بن يحيى بن صالح بن الحسين». ثانيًا انهُ لو كان عاش الى اواسط القرن العاشر للهجرة كما زعم الدكتور هرتمان لكان ذكر الحوادث التي حدثت في ايامهِ ولا نراهُ في تاريخهِ يجاوز حدود القرن التاسع

ونظنّ ان صاحب تاريخ بيروت هو الذي ذكرهُ ابن سباط في تاريخ نسب يحيى خامس اولاد زين الدين صالح. قال وولد الاميرِ يحيى وهو الخامس من اولاد الامير زين الدين صالح بن الحسين... الاميرَ الكبيرَ العالم المشهور بعلمهِ وفراستهِ صاحب العزم والحزم صالح بن يحيى بن صالح بن الحسين وهو الذي فاق زمانهُ وفاق اقرانهُ وقد جمع العلوم في معرفة الكواكب والنجوم والاسطرلاب ونظم الشعر وترتيب التواريخ وقد كتب تاريخ بيت التنوخ وهو صاحب الغزوات وقد حضر فتح قبرس»

حلّ اللغز الرياضي الوارد في العدد السابق

ورد لنا حلّ هذا اللغز من كثيرين اوّلهم ا. ش. احد تلامذة مدرستنا ثم الخواجا ادمون بسُول ثم السيدة ادما باحوط ثمَّ نجم الخوري زياده ثمَّ شكري عبد الله ابي صعب. والجواب ان الولد كان مالكًا في كيسهِ خمسة فرنكات و ٢٥ سنتيمًا

٥,٢٥ × ٢ = ١٠,٥٠ − ٦ يبقى ٤,٥٠

٤,٥٠ × ٢ = ٩ − ٦ يبقى ٣

٣ × ٢ = ٦ − ٦ يبقى ٠

وقد حلّهُ ايضًا حضرة الخوري جبرائيل رزق مرهج بطريقة الجبر كما يأتي:

اذا سمَّينا كمية الدراهم (ك) فلنا هذه المعادلة من الدرجة الاولى:

٢[٢(٢ ك − ٦) − ٦] − ٦ = ٠

واذا حللنا هذه المعادلة البسيطة يكون لنا ك = ٥,٢٥

قبر اوزيريس كبير آلهة المصريين

كان المسيو اميلينو بشَّر العلماء انهُ اكتشف قبر الاله اوزيريس فصادق بعض العلماء على اكتشافهِ (راجع المشرق ص ٥٨٢). وقد تصدَّى المسيو مسبرو الشهير بمعرفة العاديَّات المصريَّة لهذا الزعم وردَّ عليهِ في مجلَّة الكتابات والاديبَّات (Acad. des Inscriptions et Belles Lettres, *Mars*, 1898, p. 278) والصواب انَّ القبر هو قبر بعض الفراعنة سيكشف المسيو غروف اسمهُ عمَّا قليل. انَّما رُسم عليهِ تمثال الاله اوزيريس ليس الَّا.

اسئلة واجوبة

سلفور الحديد

س سألنا الخواجا شكري حوّا ان نفيده عن قطعة معدن اصفر برّاق كالذهب ارسل لنا منهُ مثالًا وطلب ان ندلَّهُ على اسمهِ وثمنهِ

ج انَّ هذه القطعة المعدنية هي متركّبة من سولفور الحديد وثمنها من البخس الاثمان

صور البروج السماويَّة

س وسألنا الخواجا فضّول البستاني عن صور البروج السماويَّة التي يرسمها الفلكيُّون على اشكال هندسيَّة كبرج الاكليل مثلًا او اشكال حيوانيـة كالحمامة والاسد الخ فطلب هل رُكّبت هذه البروج من اصلها بيد الخالق على هذه الاشكال ولماذا تختلف هذه الصور المرسومة عمَّا تبصر بهِ العـين في الفلك ألعلَّهُ يوجد نجوم اخرى صغيرة تتمّم هذه الاشكال لا تُنظر الَّا بالمراصد ؟

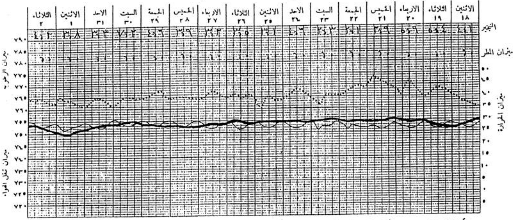
ج انَّ تقسيم نجوم السماء الى بروج وتصاوير مختلفة يرتقي عهدهُ الى الوف من السنين. وترى هذه العادة جارية عند جميع الشعوب كالهنود والصينيين والاشوريين. واما سبب ذلك فلتعريف اجزاء السماء والاستدلال على الكواكب كما تظهر للعيان لا كما وُضعت في الافلاك. ولمَّا رأوا في بعض هذه البروج شيئًا من الشبه بالاشكال الهندسية او بالحيوان او النبات او الآلات فدعوها بهذه الاسماء. وربَّما تصوَّرت الشعوب البرج الواحد على صور مختلفة فدعاهُ البعض باسم وغيرهم باسم آخر كبرج بنات نعش مثلًا قد دعاهُ الفرنج الدبّ الكبير ويدعوهُ غيرهم المجلّة. فاذا رُسمت هذه البروج ترى كلّ شعبٍ يرسمها كما تصوَّرها فرجع هذه التصاوير اذًا الى مخيَّلة الامم والفلكيـين لا لكون البارئ تعالى صوَّرها على هذه الاشكال. هذا ولا نعرف من امرها الَّا النزر القليل لبعدها عنَّا

تنبيه

قد ورد لادارة المشرق عدَّة كتابات واسئلة لتدرج في المجلّة الا انَّها لم توقّع بامضاء اصحابها خلافًا لما جاء في الملاحظات المدرجة في غلاف كلّ الاعداد وعليهِ فلم نعبأ بها

ل. ش

قائمة للآثار الجوية من ١٨ تموز الى ٢ آب ١٨٩٨



انّ الخطّ الضخم (——) يدلّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر – والخطّ الرفيع المتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) – امّا الخطّ المنقّط (....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) – والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالمليمترات وعشر المليمترات